المؤتمر العلمي الدولي الأول لكلية اللغة العربية بجرجا

(جرجا عبر التاريخ وجهود علمائها في خدمة العلوم الإنسانية)

١٤ - ١٥ شوال ١٤٤٦هـ / الموافق : ١٣ - ١٤ أبريل ٢٠٢٥م

وصف الدمع في قصائد دموع الوفاء للدكتور على الجندي في ديوانه ألحان الأصيل المتوفى١٩٧٣م دراسة بلاغية

Describing Tears in the Poems "Tears of Loyalty" by Ali Al-Jundi in his collection "Melodies of the Authentic" (d.1973) A Rhetorical Study

✍ بقلم الدكتور

أحمد راتب راغب حسن

المدرس بقسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بجرجا

جامعة الأزهر الشريف، جمهورية مصر العربية

العدد الأول

وصف الدمع في قصائد دموع الوفاء للدكتور على الجندي في ديوانه ألحان الأصيل المتوفى١٩٧٣م دراسة بلاغية

أحمد راتب راغب حسن

قسم البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بجرجا – جامعة الأزهر الشريف- جمهورية مصر العربية

البريد الإلكتروني : ahmdratbraghb@gmail.com

الملخص

جاء البحث ليكشف عن أصدق حالة يمر بها الإنسان وهي الحزن وسكب الدموع على أحبابه؛ حيث لا غرض له من هذا الحزن وهذه الدموع، وقد اتخذت وصف الدموع في قصائد سماها الشاعر علي الجندي بـ(دموع الوفاء) في ديوانه ألحان الأصيل أنموذجاً، فاهتم البحث بجمع ودراسة هذه الصورة دراسة بلاغية ومدى ملائمتها للسياق، وقد تنوعت أوصافه مما يوحي بتمكن الشاعر، وعمق عاطفته، وصدق تجربته في بكائه أصدقائه، وكان اعتمادي على المنهجين الاستقرائي والتحليلي هو الأنسب للبحث حتى يتسنى لنا كشف اللثام عن وصف الدمع ومدى ملائمتها للسياق الواردة فيه، واستخراج البلاغيات التي استخدمها الشاعر لهذا الغرض، والتي كثرت، وتنوعت، وساعدت الشاعر كثيراً في تقوية صورة الدمع، فساعدت الشاعر في وصف ما يختلج نفسه من حزن وتحسر على فقدان أصحابه، وتصوير الحزن الذي يخيم على ما حوله من أمكان وأشخاص، واقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد ومجموعة من العناصر ثم خاتمة وفهرس للمصادر والمراجع، كالآتي: أولاً :وصف القلب دما يجري مع الدمع، ثانياً: وصف الدمع بديلا للجواب على سؤال، ثالثاً :وصف الدمع بالحمرة، رابعاً :وصف الدمع بالغمام والمطر، خامساً :وصف الدمع بإنبات العشب، سادساً :وصف الدمع بالذهب، سابعاً: وصف الدمع بالحرارة، ثامناً: وصف الدمع بالشفاء من الحزن، تاسعاً: وصف الدمع بالنفاد والانتهاء، عاشراً :وصف الدمع بالسجوم، حادي عشر: وصف الدمع بالصدق وعدم البخل بها.

الكلمات المفتاحية: الوصف ، الدمع ، دراسة بلاغية .

Describing Tears in the Poems "Tears of Loyalty" by Ali Al-Jundi in his collection "Melodies of the Authentic" (d.1973) A Rhetorical Study

Ahmed Rateb Ragheb Hassan
Department of Rhetoric and Criticism, Faculty of Arabic Language, Girga - Al-Azhar University - Arab Republic of Egypt.
Email: ahmdratbraghb@gmail.com

Abstract

This research aims to reveal the most sincere state a person can experience: sadness and shedding tears for their loved ones. Where he has no purpose for this sadness and these tears, and I took the description of tears in poems called by the poet Ali Al-Jundi (Tears of Loyalty) in his collection of authentic melodies as a model, so the research was interested in collecting and studying this image rhetorically and its suitability to the context, and its descriptions varied, which suggests the poet's skill, the depth of his emotion, and the sincerity of his experience in crying for his friends, and my reliance on the inductive and analytical methods was the most appropriate for the research so that we can uncover the description of tears and the extent of their suitability to the context in which they appear, and extract the rhetorical devices that the poet used for this purpose, which were many and varied, and helped the poet greatly in strengthening the image of tears, so they helped the poet describe what he felt in his soul of sadness and regret for the loss of his friends, and depict the sadness that looms over the places and people around him, and the nature of the research required dividing it into an introduction, a preface, and a group of elements, then a conclusion and an index of sources and references, as follows: First: Describing the heart as blood flowing with Tears, Second: Describing tears as an alternative to answering a question, Third: Describing tears as red, Fourth: Describing tears as clouds and rain, Fifth: Describing tears as growing grass, Sixth: Describing tears as gold, Seventh: Describing tears as heat, Eighth: Describing tears as healing from sadness, Ninth: Describing tears as running out and ending, Tenth: Describing tears as black, Eleventh: Describing tears as honesty and not being stingy with them.

Keywords: Description, tears, rhetorical study

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة البحث

الحمد لله رب الأرض والسماء، جعل آدم عليه السلام خليفة في الأرض وعلمه الأسماء، والحمد لله الذي جعلنا من ذرية خير الأنبياء، وصلى الله وسلم وبارك على سيدنا محمد النبي الهادي الصادق الأمين ، وعلى آل بيته الطاهرين ، وعلى أصحابه الغر الميامين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين. **وبعد**

فقد أنعم الله ﷻ علينا بنعم لا نستطيع إحصائها، وفضلنا على كثير ممن خلق تفضيلاً، فمما أنعم الله ﷻ به علينا نعمة العلم والتعلم ، ومما لا يخفى على كثير أن علم البلاغة من أوثق العلوم صلة بالأدب العربي ، وأجمل ما "التحفته الهمة، وعرفته هذه الأمة ــ والشعر أعلى مراتبه، وأجمل مذاهبه ،لتخليده محاسن المعاني ، وإلحاقه الخامل المنخفض بالعالي"[(١)] ،وهو ميدان فسيح يستطيع الشاعر من خلاله البوح بما تخفيه نفسه من مشاعر وأسرار، وما تظهره جوارحه من تعبيرات تعبر عن هذه المشاعر ، ومن هذه التعبيرات البكاء وسيلان الدموع ، فالدموع تظهر ما بداخل المرء من حزن وترح أو سعادة وفرح ، فمن شأن الدمع أن يطفئ الغليل ، ويبرد حرارة الحزن ، ويزيل شدة الوجد، ويعقب الراحة[(٢)]، ومن الشعراء الذين برزت عندهم صورة الدمع ممزوجة بالوفاء عند فقد الأحبة الأستاذ الدكتور على الجندي الذي عرف بقوة الأسلوب، وجودة القريحة، وغزارة المعاني ، فهو شاعر مفلق جمع بين العديد من الصفات، وعالم له الكثير من المؤلفات، ورجل هذه صفاته يصف الدموع والبكاء، ويعاني من فقد

---

(١) بلبل الغرام الكاشف عن لثام الانسجام، للحاجري ، حسام الدين عيسى بن سنجر ت: ٦٣٢هـ – تحقيق : د. خالد جبر ، د.عاطف كنعان– الناشر: كلية الآداب – جامعة البترا الخاصة – شركة المدينة لأعمال المطابع، بدون ص١٨.

(٢) ينظر: تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور إحسان عباس ت: ١٤٢٤هـ– الناشر: دار الثقافة بيروت، لبنان – الطبعة: الرابعة، ١٩٨٣م ، ص١٦٧.

أحبابه، فلابد أن يكون للدمع عنده ميزة وصبغة، فقد أكثر من ذكر الدموع، وبالغ في وصفها، وأكثر من نعوتها، وتفنن في تصويرها.

لذا آثرت جمع أكثرها شيوعاً وحضوراً في الديوان، ودراستها دراسة بلاغية، فجاء البحث بعنوان:(وصف الدمع في قصائد دموع الوفاء للدكتور على الجندي في ديوانه ألحان الأصيل المتوفى١٩٧٣م دراسة بلاغية)

ولم أجد- فيما أعلم- بحثاً درس وصف الدمع بهذه الطريقة في الديوان، مما حفزني على هذه الدراسة، كذلك من الأسباب التي دفعتني لدراسة هذا الموضوع كثرة أوصاف الدموع وشيوعها، وتنوع أساليبها البلاغية، وتغاير طرق بنائها، مما جعلها بادية وواضحة في نظم صورة الدمع؛ وهذا التنوع والتفنن البلاغي أضفى على الموضوع نوعاً من الجدة والطرافة، ومن الأسباب التي لا تقل أهمية عن سابقيها ما يتمتع به الدكتور/علي الجندي من مكانة علمية وأدبية عالية ، وعلم غزير، وشعر يتسم بالقوة والجزالة، فالهدف من البحث هو الوقوف على الصور البلاغية التي تعتري الدمع، والفرق بين هذه الصور ،ومدى ملائمتها للمقام ،وما أصاب فيه الشاعر وأجاد ،وما أخفق فيه وقصر عن المعنى المراد.

منهج الدراسة:

قامت الدراسة في هذا البحث: على منهجين

١-المنهج الاستقرائي : قراءة الديوان وخاصة قصائد دموع الوفاء قراءة متأنية واستخراج الشواهد التي تشتمل على أوصاف الدمع.

٢-المنهج التحليلي : تحليل الأبيات تحليلاً بلاغياً دقيقاً ، والوقوف على خصائص كل أسلوب بلاغي، ومدى توفيق الشاعر في اختيار الوصف دون غيره ، والصورة التي صور بها الدمع .

خطة تقسيم البحث: اقتضت طبيعة البحث تقسيمه إلى مقدمة وتمهيد ومجموعة من العناصر ثم خاتمة وفهرس للمصادر والمراجع، ونظراً لكثرة

الأوصاف التي وُصِفَ بها الدمع، والصور التي استخدمها الشاعر لنظم الدمع لـــم يقسم إلى مباحث؛ حيث بلغ عددها أحد عشر عنصراً، وهي كالآتي:

أولاً :وصف القلب دما يجري مع الدمع.

ثانياً: وصف الدمع بديلا للجواب على سؤال.

ثالثاً : وصف الدمع بالحمرة.

رابعاً : وصف الدمع بالغمام والمطر.

خامساً : وصف الدمع بإنبات العشب.

سادساً : وصف الدمع بالذهب.

سابعاً: وصف الدمع بالحرارة.

ثامناً: وصف الدمع بالشفاء من الحزن.

تاسعاً: وصف الدمع بالنفاد والانتهاء.

عاشراً : وصف الدمع بالسجوم.

حادي عشر: وصف الدمع بالصدق وعدم البخل بها:

وبعد ..... فهذا جهدٌ المقل ، فإذا كان صواباً فأحمد ربي وأشـــكره، فمنـــه التوفيق والسداد، وإن كان قد شابه بعض وجوه التقصير فهذا منى، وأستغفر ربي من مساوئ عملي، ولعل اللهﷻ أن يرزق عملي قبولاً عندكم فأنتم لذلك أهل، ولن أنسي أبداً أن أتقدم بأسمى معاني الشكر والاحترام لأساتذتي الذين نصحوا وقوموا البحث حتى استوى على سوقه، وهم –حفظهم الله– من الغلط والتقصير براء .

الباحث/ أحمد راتب راغب حسن

مدرس البلاغة والنقد بكلية اللغة العربية بجرجا

التمهيد

أولًا : التعريف بالشاعر:

مولده ونشأته:-

بحلول نهاية القرن التاسع عشر وفي عام ١٨٩٨م ولد الأستاذ الدكتور علي الجندي بقرية شندول البلد من أعمال مركز سوهاج مدرية جرجا في بيت محافظ يتسم بصفتين: البركة والسيادة، ووالد الجندي المباشر السيد أفندي الجندي من صفوة أعيان شندويل البلد وسمحائها ومثقفيها، وجده لأبيه سليمان أفندي من الضباط القدامى في عهد أمراء مصر سعيد وإسماعيل وتوفيق[١] ، ووالدته من أسرة العبابدة وهي أسرة عربية أندلسية[٢]، واسم الجندي لقب تشريف تحدَّر إليهم من الجد الثامن للشاعر وهو العارف بالله يوسف الجندي بن علي الجندي[٣]، وقد اهتم الوالدان بابنهما اهتماماً كبيراً وفي سن الخامسة دفع به إلى كتاب القرية فحفظ القرآن الكريم كاملاً ، وتعلم مبادئ العلوم الضرورية ، وقد كان مقرراً أن يتعلم تعليماً مدنياً في مدرسة الأميرية بسوهاج ، ولكنه كان في طفولته يخاف الأشباح، ويهب من نومه صارخاً ، فقضت الشفقة ألا يعيش بعيداً عن كنف والديه [٤]، وقد كان الأستاذ الدكتور علي الجندي رجلاً صاحب أخلاق سامية عالية ، ومتديناً بطبعه ، شديد المحافظة على صلاة العشاء ، وقلَّ أن ينام على غير وضوء ، كان كذلك صاحب علم وفضل، فقد حفظ المتون والألفية ودرس الفقه المالكي وعلوم العربية والتوحيد والتفسير وغيرها على أشياخ شندويل من العلماء ولم يبلغ سن المراهقة حتى أصاب الغاية من ذلك، التحق

---

(١) ينظر: الأعلام : لخير الدين الزركلي- الناشر: دار العلم للملايين- بيروت – الطبعة : الخامسة عشر ٢٠٠٢م (٢٩٣/٤).

(٢) ينظر: ديوان أغاريد السحر صـ ١٣ .

(٣) ينظر: ديوان أغاريد السحر للدكتور علي الجندي – الناشر دار الفكر العربي بيروت لبنان الطبعة الأولى صـ ١٢ .

(٤) ينظر: ديوان أغاريد السحر صـ ١٠ .

الأستاذ الدكتور الجندي في سنة عشرين وتسعمائة بعد الألف الميلادية بكلية دار العلوم على كره من أشياخه في مصر وأشياخه في الصعيد وحصل على دبلومها (١٩٢٥)[١] .

وظائفه:-

عمل الشاعر الأستاذ الدكتور/على الجندي معلمًا بالمدارس الإبتدائية فالثانوية، ثم انتقل للعمل بكلية دار العلوم مدرسًا (١٩٤٠م)، وتدرج في العمل الجامعي مدرسًا، فأستاذًا مساعدًا، فأستاذًا ورئيسًا لقسم البلاغة والنقد، فوكيلاً وعميدًا حتى أحيل إلى التقاعد (١٩٥٨م)، وقد انتخب عضوًا عاملًا بالمجمع في سنة (١٩٦٩م) في الكرسي الذي خلا بوفاة الأستاذ "علي عبد الرازق" وشارك منذ انتخابه للعضوية في أعمال المجمع مجلسه ومؤتمره ولجانه، وخاصة لجنة المعجم الكبير، ولجنة الأصول، ولجنة الأدب، وكان عضو لجنة الشعر بالمجلس الأعلى لرعاية الفنون والآداب والعلوم الاجتماعية، وعضو لجنة التعريف بالإسلام، ومقرر لجنة القرآن والسنة بالمجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، وخلال السنوات القلائل التي أمضاها عضوًا بالمجمع قدم في كل مؤتمر بحثًا من بحوثه في مجال الأدب[٢].

شخصية د/علي الجندي:-

لقد كان الشاعر علي الجندي أستاذًا للأدب الجاهلي بكلية دار العلوم جامعة القاهرة. وقد قال عنه الأستاذ "عباس حسن" صاحب النحو الوافي: "هو عذب الروح طلي الحديث، واسع المعرفة بما دار، دقيق التخليص لما سمع في حجرة الدرس، قويم الرأي، يدعمه البرهان الساطع والدليل الأقوى، ويزجيهما في حسن عرض، وحميد هدوء، وجميل تواضع ، لقد كان الجندي من ذوي الهمم العالية،

---

(١) ينظر: ديوان أغاريد السحر صـ ١١ .

(٢) ينظر: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة – المشرف على المجلة :د/ إبراهيم أنيس – أمين التحرير: د/ إبراهيم الترزي– العدد الخامس والعشرون رمضان ١٣٨٩هـ نوفمبر ١٩٦٩م صـ ٢٣٨.

فقد كان متمكناً في الدرة، متفوقًا في التحصيل، وتميز بكثرة محفوظاته الأدبية، مع مقدرة فائقة على الاستشهاد بما يحفظ حين يريد ، وكما يهوى في سرعة كرجع الصدى ، ويسر كتحريك الإصبع(١).

أعماله ومؤلفاته:-

يتنوع النشاط العلمي والفكري للدكتور علي الجندي بين الإبداع والتأليف، فقد ترك وراءه دواوين شعر ثلاثة هي: أغاريد السحر، وقد نال الجائزة الأولى من المجمع اللغوي سنة١٩٤٨م وأبياته نحو ٢٦٠٠ بيت، وديوان ألحان الأصيل في نحو ٤٥٠٠بيت شعري، وديوان ترانيم الليل، في نحو٣٥٠٠بيت، ومن المؤلفات النثرية الكتب الجامعية : فن الأسجاع (جزآن)، فن الجناس، فن التشبيه (ثلاثة أجزاء)، البلاغة الفنية.

وفي مجال الثقافة الإسلامية والثقافة العامة ألف عدة كتب، منها: سياسة النساء، الشعراء وإنشاد الشعر، خمسة أيام في دمشق، الشذا المؤنس في الورد والنرجس، نفح الأزهار في مولد المختار ، قرة العين في رمضان والعيدين (جزآن)،سيف الله خالد، الجنُّ بين الحقائق والأساطير (جزآن)،ولم يقف عطاء الدكتور الجندي عند هذا الحد بل اشترك في تأليف العلوم والفنون مع آخرين، من هذه المؤلفات: أطوار الثقافة والفكر، وهي موسوعة طبع منها جزءان، وكتاب سجع الحمام في حكم الإمام، ومن كتبه المدرسية حديقة الإنشاء، وروضة الإنشاء، بستان الإنشاء، والمطالعة الوافية(٢)

وفاته:- توفي الشاعر علي الجندي بالقاهرة في يوليو عام ١٩٧٣م، بعد رحلة عطاء كبيرة في معاهد العلم ، وثراء الإنتاج العلمي والإبداع(٣).

---

(١) ينظر: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة – المشرف على المجلة :د/ إبراهيم أنيس – أمين التحرير: د/ إبراهيم الترزي– العدد الخامس والعشرون رمضان ١٣٨٩هـ نوفمبر ١٩٦٩م صـ ٢٣٤.

(٢) ينظر: مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة – المشرف على المجلة :د/ إبراهيم أنيس – أمين التحرير: د/ إبراهيم الترزي– العدد الخامس والعشرون رمضان ١٣٨٩هـ نوفمبر ١٩٦٩م صـ ٢٣٨.

(٣) ينظر: الأعلام (٢٩٣/٤).

ثانيا : مفهوم الدمع:

ورد في لسان العرب أن :الدَّمْع: مَاءُ الْعَيْنِ، وَالْجَمْعُ أَدْمُعٌ ودُموعٌ، والقَطْرةُ مِنْهُ دَمْعة ، ودَمَعتِ العينُ ودَمِعت تدْمَع، فِيهِمَا، دمْعاً ودَمَعاناً ودُموعاً، وَقِيلَ دَمِعَت دَمَعاً، وامرأَة دَمِعةٌ ودَمِيعٌ، بِغَيْرِ هَاءٍ، كِلْتَاهُمَا: سَرِيعَةُ الْبُكَاءِ كَثِيرَةُ دَمْعِ الْعَيْنِ(١)، والمكان الذي يسيل منه الدمعى يسمى "المَدامِعُ: الْمَآقِي وَهِيَ أَطراف الْعَيْنِ. والمَدْمَع: مَسِيل الدَّمْعِ. قَالَ الأَزهري: والمَدْمَعُ مُجْتَمَعُ الدَّمْع فِي نَوَاحِي الْعَيْنِ، وَجَمْعُهُ مَدامِعُ يُقَالُ: فَاضَتْ مَدامِعه. قَالَ: والماقِيانِ مِنَ المَدامِع"(٢)، كذلك من الألفاظ الدالة على الدمع ومكان سيلانها: الغَرْبُ وهو"مَسِيلُ الدَّمْع، والغَرْبُ: انْهِمالُه مِنَ الْعَيْنِ. والغُرُوبُ: الدُّموع حِينَ تَخْرُجُ مِنَ الْعَيْنِ الغَرْبُ: أَحدُ الغُرُوب، وَهِيَ الدُّمُوع حِينَ تَجْرِي. يُقال: بعينِه غَرْبٌ إِذا سالَ دَمْعُها، ولَمْ ينقطعْ، فشبَّه بِهِ غَزَارَةَ عِلْمِهِ، وأَنه لَا يَنْقَطِعُ مَدَدُه وجَرْيُه. وكلُّ فَيْضَة مِنَ الدَّمْع: غَرْبٌ؛ وكَذَلِكَ هِيَ مِنَ الْخَمْرِ. واسْتَغْرَبَ الدمعُ: سَالَ. وغَرْبَا الْعَيْنِ: مُقْدِمُها ومُؤْخِرُها. وَلِلْعَيْنِ غَرْبانِ: مُقْدِمُها ومُؤْخِرُها. والغَرْبُ: بَثْرة تَكُونُ فِي الْعَيْنِ، تُغِذُّ ولَا تَرْقأُ(٣).

أوصاف ومسميات الدمع كثيرة ومتنوعة ، ومما ورد في ذلك : دمعت عينه، وذرفت تذرف ذريفا، ، وهمت تهمي هميا، وهمعت تهمع همعا ، واستهلت تستهل استهلالا، وقد سحت تسح سحا، وهملت عينه ، وانحلبت تنحلب انحلابا ، وانحلبت عيناه، من فرط الأسى ، وارفضت ترفض ارفضاضا وهو تفرق الدمع، وأسبلت تسبل إسبالا، وغسقت تغسق غسقا، وفاضت تفيض فيضا، وأخضلت تخضل إخضالا(٤).

---

(١) ينظر: لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى ت: ٧١١هـ – الناشر: دار صادر – بيروت – الطبعة: الثالثة – ١٤١٤ هـ مادة (دمع).

(٢) ينظر: السابق العرب مادة (دمع).

(٣) ينظر: السابق مادة (غرب).

(٤) ينظر: كتاب الألفاظ (أقدم معجم في المعاني) لابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ت: ٢٤٤هـ– تحقيق: د. فخر الدين قباوة – الناشر: مكتبة لبنان ناشرون – الطبعة: الأولى، ١٩٩٨م ص٤٣٥.

وصف الدمع في ديوان ألحان الأصيل

أولاً : وصف القلب ينزف دما يجرى مع الدموع:

يلجأ الشاعر إلى البكاء ونحيب الدموع عندما يصيبه ما يؤلم قلبه، من فراق وهجران، أو فراق عزيز لديه، أو ما يعتريه من الحنين والشوق إلى غير ذلك من الأحوال التي تجعله يذرف الدموع ، ولكن أصعبها هو ما يجعله يبكي دماً لا دمعاً مما يدل على الحالة النفسية التي وصل إليها ، وهذه بعض الشواهد التي استخدم فيها الشاعر لفظة الدم في وصف دموعه ، حتى يتثنى لنا أن نقف على ما يكنه الشاعر في نفسه من مشاعر جراء هذا الوصف، وما هي المقامات والأحوال التي استدعت الوصف بالدماء، منها قوله :

أي بُنيَّ الأبرّ ! قَلبي قد حا ***لَ نجيعاً[1]مع المدامعِ يَجْري[2]

هذا البيت من قصيدة يرثي فيها الشاعر (عاطف باشا بركات) وكيل وزارة المعارف، وأحد أقطاب الوطنية سنة١٩٢٥م والتي سماها بـ(عماد الوطنية والمعارف[3]، ويصف في هذا البيت حالته النفسية جراء هذا المصاب، وكيف انفطر قلبه لفقد من لقبه بـ (عماد الوطنية والمعارف)، وقد تحول هذا القلب المنفطر إلى دم يجري مع دموعه وقد حال بينهما الموت، مما جعله يناديه نداء القريب مستخدماً(أي) تنبيهاً على قربه منه وأنه يحتل مكانة عظيمة في قلبه ، فلا يغيب عن خاطره ، ولن يبعد عنه بل هو حاضر قريب، وحرف النداء(أي) من الحروف التي يستعملونها إذا المنادى قريبا أو في حكم القريب إذا كان القرب قرب مكانة، قال صاحب المفصل" وأي والهمزةُ تُستعملان إذا كان صاحبك

---

(١) والنَّجِيعُ: الدمُ، وَقِيلَ: هُوَ دَمُ الجَوفِ خاصَّة، وَقِيلَ: هُوَ الطَّرِيُّ مِنْهُ، وَقِيلَ: مَا كَانَ إِلى السَّوَادِ، وَقَالَ يَعْقُوبُ: هُوَ الدمُ المَصْبُوب؛، ينظر: لسان العرب مادة (نجع).

(٢) ديوان ألحان الأصيل لعلي الجندي الأستاذ المساعد بكلة دار العلوم جامعة فؤاد الأول – الناشر: دار الفكر العربي – بدون صـ١٣٦.

(٣) الديوان صـ١٣٦.

قريبًا"[١] ، وجاء بالمنادى بلفظ البنوة مصغراً، فلم يناده الشاعر باسمه بل نعته بهذا الوصف وهو (بُنيَّ الأبر)؛ ولعل هذا الوصف يوحي بالعاطفة الجياشة التي يحملها الشاعر تجاه هذا الفقيد وشدة حزنه وتحسره على فقده، فهو ليس ابنه ولا أصغر من سناً حتى ينعته بـ(بُنيَّ).

وبالوقوف على صورة الدموع هنا نجد أن الشاعر وصف دمعه بوصفين هما ، أحدهما غير مباشر والثاني مباشر ، فالوصف الغير مباشر هو :(نجيعاً) وذلك لأن الوصف متعلق بالقلب صراحة ، فهذا القلب تحول إلى نجيع من الدماء، ثم خرج هذا النجيع مع الدموع فاختلطت به وأصابها من لونه ، فيشبه دموعه بالنجيع تشبيهاً بليغاً دلَّ عليه بقوله: (حال نجيعاًمع المدامعِ يجري) والنجيع : الدم ، ووجه الشبه بينهما هو الانفطار والسيلان ، فالتشبيه لبيان حال المشبه ، وفي هذا إصرار من الشاعر علي تصوير قلبه في تقطعه وانفطاره حتى صار دمًا يجري مع دموعه، فيصور لنا صورة جريان الدموع والدماء معاً من مكان واحد، وهي صورة من المبالغة حتى نستطيع أن ندرك الحالة التي يحياها، وهذا الوصف يؤكد معاناة الشاعر ومدى سوء حالته النفسية ،مما يدلنا على الحالة التي يعيشها الشاعر فنفسه تضطرم من الأسى والفراق، ولشد ما به غيَّر الدم مجراه فخرج من مجري العين .

والصفة الثانية المباشرة هي صفة الجريان(مع المدامعِ يجري)، ففي الغالب تكون هذه الصفة لماء الأنهار قال تعالى (فيها عين جارية) [٢]، وقال تعالى أيضاً ﴿ جَزَاؤُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ﴾[٣] وعلى هذا فوصف الدمع بالجريان يُحمل على تشبيهها بالأنهار، ثم حذف الأنهار وأثبت لازمها

(١) شرح المفصل لابن يعيش (المتوفى: ٦٤٣هـ) ٥/٤٨ قدم له: الدكتور إميل بديع يعقوب الناشر: دار الكتب العلمية، بيروت – لبنان.

(٢) سورة الغاشية : آية ١٢

(٣) سورة البينة : آية ٨.

للدموع على سبيل الاستعارة المكنية، فالأوصاف التي خلعها الشاعر على دموعه تعطينا صورة حيّة لدموع حمراء مثل الدم تنهمر بغزارة وتجري مثل الأنهار، وهذا يوحي بأن الجريان هنا كناية عن الكثرة والغزارة ، ولعل هذا هو الأنسب للمقام .

وللمبالغة في وصف الدموع أتى الشاعر بما يؤكد هذا الوصف فعبر بـ (قد) التي تفيد التحقيق، أضف إلى ذلك التعبير بـ (المدامع) وهى مجتمع الدمع في نواحي العين فكأن الذي يجري ليس الدمع فحسب بل مكان الدمع يجري أيضاً وهذه مبالغة ممدوحة تظهر شدة حزن الشاعر على المرثي ، وجعلها على وزن منتهى الجموع (مفاعل) للدلالة على كثرتها وغزارتها، ثم قال(يجرى) فجعلها بمثابة الأنهار التي تجري فيها المياه، وبصيغة المضارع التي تدل على التجدد والحدوث فهذ الفعل متكرر ومتجدد مع أي طارئ يطرأ عليه بسبب هذا الحدث ولم تكن قبل ذلك تجري، ومقام الحزن والتحسر على فقد صديق عزيز يقتضي تجدد فعل البكاء وحدوثه مراراً وتكراراً ،يقول شيخنا الأستاذ الدكتور محمد أبو موسى :أعلم أن قولنا: إن الفعل يفيد التجدد، والاسم يفيد الاستمرار أصل واضح، ولكن الدقة والصعوبة يكمنان في ملاحظة اقتضاء المقام لأحدهما(١)

وفي شاهد آخر جعل الدموع تختلط فيه بالدماء يقول :

وَقَفَ الأزهَرُ في مَأتَمِه***يسكبُ الدمعَ مَشُوباً بِالدِّمَاءِ(٢)

يرثي الشاعر عالماً كبيراً من علماء الأزهر الشريف ، ورمزاً من رموزه الأفذاذ ، وهو فضيلة المفتي الأكبر الشيخ محمد بخيت المطيعي شيخ السادة

(١) ينظر: خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني: الأستاذ الدكتور محمد أبو موسى – الناشر: مكتبة وهبة – الطبعة: السابعة صـ٣٠١.

(٢) الديوان : ١٤٧.

الحنفية[١]- رحمه الله-، وقد بلغ من شدة الحزن عليه أن الأزهر الشريف نفسه بكي عليه، وراح يسكب الدموع، وليست دموعاً عادية بل ملطخة بالدماء، فبدأ البيت بصورة تصويرية للأزهر يقف وسط مأتم الشيخ يتلقى التعازي فيه، وكأنه إنسان يعقل، ويشعر بما يدور حوله، وله عينان تذرف الدموع المشوبة بالدماء، وذلك على سبيل الاستعارة المكنية ، وإضافة الوقوف للأزهر استعارة تخيلية؛ لأنها ليست ثابتة للمشبه بالتحقيق بل بالتخييل[٢].

ثم جاء الشاعر بالجملة الحالية (يسكب الدمع مشوباً بالدماء) وهي محل الشاهد مشتملة على وصفين، الأول: وهو قوله: (يسكب) التي تدل بمادة المعجمية على الغزارة إذ أصلها هو الصب الغزير المتتابع فمن معانيها الهَطَلانُ الدَّائِمُ[٣]، وقد بناها على صيغة الفعل المضارع ليفيد به تجدد سَكْب الدموع واستمراريتها وعدم إنقطاعها.

والصفة الثانية هي قوله :(مشوباً بالدماء) أي: أن لون هذه الدموع من كثرتها وتتابعها، وشدة ما يجده تحول لونها إلى لون الدم، واحتراز الشاعر في وصفه بالتعبير بقوله:(مشوباً) ليخرج من دائرة الدمج الكامل بين الدموع

---

(١) الديوان:١٤٤،محمد بخيت بن حسين المطيعي: (١٢٧١، ١٣٥٤هـ = ١٨٥٤ ،١٩٣٥م) مفتي الديار المصرية، ومن كبار فقهائها ولد في بلدة (المطيعة) من أعمال أسيوط، وتعلم في الأزهر، واشتغل بالتدريس فيه، وانتقل إلى القضاء الشرعي سنة ١٢٩٧م واتصل بالسيد جمال الدين الأفغاني، ثم كان من أشد المعارضين لحركة الإصلاح التي قام بها الشيخ محمد عبده. وعين مفتيا للديار المصرية سنة ١٩١٤،م،لزم بيته يفتي ويفيد إلى أن توفي بالقاهرة، ينظر: الأعلام للزركلي ٦/٥٠.

(٢) ينظر: كتاب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح بهاء الدين السبكي ، تحقيق: د/عبدالحميد هنداوي – الناشر: المكتبة العصرية صيدا بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٢٣هـ، ٢٠٠٣م(١٨٥/٢).

(٣) القاموس المحيط :لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ت: ٨١٧هـ– تحقيق: مجدي فتحي السيد ، – الناشر: التوفيقية _القاهرة _ مصر بدون مادة سكب.

والدماء، وربما عمد إلى ذلك ليميز بينهما، حيث إن الدموع تصف لنا الحالة الخارجية والحزن الظاهر على المرء ، والدماء تصف لنا الحالة الداخلية وما يعتري فؤاده من ألم وحزن جعل الدماء تجري مع الدموع.

ولا ننسى أن هذه الدموع مستعارة للأزهر الشريف الذى ذكره أول البيت ؛ليبين لنا أن الحزن على الشيخ تعدى ما يعقل إلى ما لا يعقل مبالغة منه، وهذا من الغلو لامتناع ذلك عقلاً وعادة، وربما يقبل مثل هذا لما "تضمنه من تخييل حسن وتصوير دقيق"(١).

وإذا أمعنا النظر نجد أن الشاعر فصل بين شطري البيت بترك الواو لما بينهما من شبه كمال الاتصال ؛ حيث إن الجملة الثانية جوابا عن سؤال يفهم من الأولى، وهو لماذا يقف الأزهر في مأتمه ،فجاءت الجملة الثانية تجيب على هذا السؤال بأنه يسكب الدموع حزناً عليه ، ويقال حينئذ إن بين الجملتين «شبه كمال الاتصال».

ونجد تصوير الدموع بالدم مكرراً في موضع آخر يشتكي فيه الشاعر فراق أحبابه وأصدقائه وأقاربه ،فيقول:

ما ملومٌ مَنْ بَاتَ يَندبُ شَجْواً***وَيُبكِّي دَماً على أَحْبَابَه(٢)

يوجه الشاعر نفيه إلى الذين يعنفونه ويلمونه على بكائه، قائلاً لهم لا ينبغي للناس أن يلوموا من يبكي ويرثي أحبابه الذين فقدهم، و(ملوم) اسم المفعول من الفعل لَامَ "إذا عذَلَه وعنَّفَه"(٣) وأمّا" ما ؛ فهي نفي لقوله: هُوَ يَفْعَلُ، إذا كانَ في حالِ الفعلِ؛ فتقولُ: ما يفعلُ ، وتكونُ " لا " نفيًا لقولِهِ: يَفْعَلُ، ولَمْ يَقَعِ الفِعْلُ؛ فتقول: لا يَفْعَلُ ، فـ " ما " تُخَلِّصُ المُضارِعَ للحالِ، و"لا" تُخَلِّصُهُ

(١) كتاب عروس الأفراح :(٢/٢٦٢).
(٢) الديوان : ١٥٥
(٣) لسان العرب : مادة (لوم)

للاستقبالِ، وعلَى هذا الأكثرونَ،[١]، وعلى هذا التفريق يكون الشاعر آثر النفي بـ(ما) ليبين وقوع الملامة فعلاً فأراد أن ينفى وقوع اللوم على من يحزن على أحبابه، وآثر التعبير بالاسم دون الفعل لإفادة الثبوت والدوام، وهذا ما يناسب المقام ، ويقوي المعنى ، فهو يريد أن يجعل نفي اللوم الواقع على الذين يبكون أحبابهم شيئاً ثابتاً لا يتغير.

وقد بدأ الشاعر تصوير دموعه بصورة استعارية قوية، توضح لنا سبب بكائه، يقول: (يندب شجواً) أي يبكي همًا وحزناً ، فنَدَبَ الميتَ أَي: "بكى عليه ، وعَدَّدَ مَحاسِنَه"[٢] والشَّجْوُ: "الهَمُّ والحُزْنُ ، وقد شَجاني يَشْجُوني شَجْواً إذا حَزَنَه"[٣] ،وبهذا التفسير يكون الكلام جارياً على الاستعارة التصريحية فالذي يندب شخصاً ويبكيه يكون بالدموع لا بالهم والحزن والشجو ،فالشجو داعي إلى البكاء وسبب من أسبابه، وإذا تأملنا اللفظ المستعار وهو «شجواً» وجدناه اسما جامدا غير مشتق. ولهذا تسمى هذه الاستعارة التي يكون فيها اللفظ المستعار اسما جامدا «استعارة أصلية».

ثم عاد يكرر صورة الدمع مرة ثانية في الشطر الثاني من البيت وذلك في قوله : (وَيُبكِّي دماً) فالبكاء لا يكون إلا دمعاً ، فنجد أن الشاعر شبه الدمع بالدم ثم حذف المشبه واستعار له صورة المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، والجامع بين الطرفين هو شدة الاحمرار ، وتصوير الدمع بهذه الصورة يزيد من حزن الشاعر ، وشدة ألمه على من يرثيه، فالاستعارة تريك صورة الدمع وكأنه تحول إلى دم يخرج من مآقي العين، وزاد الشاعر في صورته حيث بنى الفعل (يبكي) على التضعيف فقال: (يُبكِّي) مبالغة منه في زيادة البكاء ، فزاد في

(١) ينظر: الكتاب لسيبويه : تح: عبد السلام هارون: ٤/٢٢١ /٢٢٢.

(٢) لسان العرب مادة(ندب)

(٣) نفسه : مادة(شجا).

اللفظ زيادة تستوجب زيادة في المعنى ؛ لِأَنّ "زِيَادَةَ المبنى تَدل عَلَى زِيَادَةِ الْمَعْنَى غَالِباً"(١).

ونجد أن أسلوب التكرار الذى وقع بين الصورتين السابقتين في (يندب، يُبكِّي) وهو تكرار في المعنى دون اللفظ يحمل معنى التوكيد والتقرير ليس هذا فحسب ، بل يتعدى هذا المعنى ؛ ليوضح الشاعر من خلاله معنى آخر وهو الإصرار على أهمية السبب الذي دعاه إلى البكاء وهو الشجو ، هذا الشجو هو من جعله يبكي دماً لا دمعاً، وكأن الاستعارة الأولى كانت تمهيداً وتهيئة للاستعارة الثانية حتى يستطيع تصوير دموعه بالدماء ،هذا التكرار الذي أتى به الشاعر يدلنا على ما في نفسه من شدة حزن وأسى على كل من فقدهم ؛لأن باب الرثاء " أولى ما تكرر فيه الكلام لمكان الفجيعة، وشدة القرحة التي يجدها المتفجع"(٢)، وهذا ما وضحه الشاعر آخر في البيت التعبير بقوله :(على أحبابه) فالذين ماتوا وقبروا لهم منزلة غالية عالية فهم أحباب، أضف إلى ذلك معنى العموم الذي يوحي به لفظ الأحباب فلا يقتصر البكاء على الأقارب فقط بل كل من يحبك وتحبه وبينكما مودة.

(١) الخصائص صنعة أبي الفتح عثمان ابن جني – تحقيق: محمد علي النجار،– الناشر: المكتبة العلمية، بدون ٢٦٦/٣.

(٢) خصائص التراكيب ٢٩٤/١ .

ثانياً: وصف الدمع بديلاً للإجابة عن سؤال:

ومن الشواهد التي يصرح فيها الشاعر بمعنى الإفصاح والبيان بديلاً عن الجواب، قوله:

نسألُ الآسِـــــينَ: مَا أَخْبَارُه**** فينوبُ الدمعُ عن رَدِّ الجَوابِ[١]

أي : أن الدمع هو الذي يجيب عن الاستفهام، ويجيب عن حال الأستاذ الجليل (أبو الفتح الفقي) رئيس جماعة دار العلوم[٢]، فخلع علي الدمع صفة من صفات الإنسان، فجعله النائب عن الآسين ، ويجيب بدلاً عنهم، وهذه استعارة مكنية، وإثبات رد الجواب للدمع تخييل يرينا المشهد عن قرب فنتخيل الدمع بإنسان عاقل صاحب لسان يستطيع الجواب ، ولكي يثبت الشاعر هذا الوصف للدمع بدأ حديثه باستفهام إنشائي يقول فيه: (نسأل الآسين: ما أخباره) وأداة الاستفهام هي (ما) "والتي يسأل بها لما لا يعقل" [٣] والاستفهام هنا ليس على حقيقته، يقول الشيخ أبو موسى : "إن ما تشيعه أداة الاستفهام أرحب وأدق من أن تحدده تحديدًا تامًا " [٤] ؛ لذلك يغلب عليه معنى التحسر والحزن على ما حلّ بالأستاذ الجليل (أبو الفتح الفقي) الذي مرض مرضاً شديداً ، فيكف يسأل عن حاله؟ وهو يعلمه جيداً ويراه بعينه طريح فراش الموت، يؤكد معنى التحسر والحزن التعبير بقوله : (الآسين) والتي تعني "المحزونين تقول :رجل آسٍ وأَسْيانُ : حزين"[٥]، وفي جمعها جمع المذكر السالم معنى الكثرة ، فعددهم كثير لما له من مكانة عظيمة في قلوبهم، ولما له من فضل عليهم ، يدل على هذا

---

(١) الديوان: ١٥٢

(٢) الديوان: ١٥١

(٣) دلالات التراكيب دراسة بلاغية للشيخ محمد محمد أبو موسى – الناشر: مكتبة وهبة – الطبعة: الرابعة ،١٤٢٩هـ ٢٠٠٨م ص ٢٠٩.

(٤) نفسه ص ٢٢١ .

(٥) لسان العرب مادة (أسا).

التعبير بها دون لفظ (المحزونين)، فالآسين مأخوذة من الفعل(أســى)، أي حــزن فالأسى هو "الحُزْنُ والغَيظُ"(١).

ونجد شاهداً آخر يشتمل على المعنى نفسه، وهو كون الدمع يفصح عما في قلب الشاعر ولكن ليس عن طريق رد الجواب وإنما عن طريق الأشعار التي يرثي بها ، يقول:

لاَ تَسْتَقِلَّ دُمُــــوعَ عيني إنَّهــا***ذَوْبُ الفُؤَادِ يَسِيلُ فِي الأَشْعَارِ(٢)

يتمنى الشاعر من الذين يقللون من دموعه وبكائه أن يقدروا حزنه علــي هذا الميت ، وألا يُعِدّوا دموعه قليلة هينة ، فاستخدم لهذا المعنى أحد الأســاليب الإنشائية الطبية وهو أسلوب النهي فقال: (لا تستقل دموع عيني) وكما هو معلوم أن "للنهي صيغة موضوعة للدلالة على حقيقة معناه وضــعًا تحقيقيًــا...وهي لا الجازمة الداخلة على فعل مضارع" (٣)، ومن بلاغة أسلوب النهي هنا أنه يدل دلالة ضمنية على كثرة الدموع ووفرتها ، وذلك لإنكار الشاعر وصف دموعه بالقلــة، ونهيه وزجره لمن يصفها بهذا الوصف بأسلوب النهي الصــريح ، وورد النهــي معللاً عند الشاعر بـــ(إن) وهذا يدل علي رغبة الشاعر في إظهار غرضه فــي صورة مؤكدة خالية من الاستعلاء إضافة الي ذلك أن التعليل "نــوع مــن أنــواع التأكيد والتثبت والاطمئنان بصحة الخبر الحكم، وذكر الشيء معللا ممــا يقــوي تأثيره في النفس وثقتها به"(٤) .

(١) تاج العروس من جواهر القاموس للزَّبيدي ٢٤/ ٣٨١ ط: دار الهداية.
(٢) الديوان: صـ ١٦٩.
(٣) صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم ، للأستاذ الدكتور /محمود توفيق ســعد – الناشــر: مكتبة الأمانة – الطبعة : الأولى ١٩٩٣م – ص ٦١.
(٤) التراكيب اللغوية في العربية دراسة وصفية تطبيقية : للدكتور هــادي نهــر – الناشــر : مطبعة الارشاد – بغداد ١٩٨٧م، ص٤٧.

وكما هو معلوم لدى أهل البلاغة أن الكلام إذا برز في صور محسوسة فإنه يتمكن في النفس ، وتنطبع صورته في العقل ، ويكون له فضل تعلق بالذهن، ولهذا فقد عمد الشاعر إلى إبراز صورة دمعه في صورة محسوسة مستخدماً من الأساليب البلاغية البيان ، يقول عن دموعه: (إنها ذوب الفؤاد يسيل في الأشعار) وهذا تشبيه مفرد بمركب شبه فيه الشاعر دمع العين بصورة الفؤاد الذي يذوب من شدة الوجد ثم يسيل في هيئة أشعار وقصائد يرثي بها ، ولا يمكن أن نعمد إلى هذا التركيب فنأخذ بعض أجزائه فتختل الصورة والهيئة ، كأن نأخذ لفظ (ذوب) المضافة إلى القلب ونقول إنها استعارة مكنية شبه فيها القلب بشيء حسي ، فلم يقصد الشاعر إلى هذا الجزء فقط بل قصد هيئة مركبة كما سبق، والغاية من هذا التشبيه هو وصف دمعه بالإفصاح والإبانة ، يؤكد هذا المعنى قوله: (يسيل في الأشعار) فدموعه عبارة عن قلب مذاب يخرج في صورة أشعار.

وآثر التعبير بـ(الفؤاد)؛لأن الافئدة أوثق صلة بالعواطف والمشاعر لذا فهي توصف بالرقة والقلوب باللين، لأن الفؤاد: الْقلب، وَقيل بَاطِن الْقلب، وَقيل: هُوَ غشاء الْقلب، وَالْقلب حبته وسويداه يُؤَيّدهُ قَوْله عَلَيْهِ الصّلَاة وَالسّلَام: " أَلين قلوبا وأرق أفئدة " والفؤاد الرَّقِيق تسرع إمالته، وَالْقلب الغليظ القاسي لَا ينفعل لشَيْء، وَلِهَذَا كَانَت الْحِكْمَة يَمَانِية، وَالْإِيمَان يمَان"[(١)]،كما أن في التعبير بالفؤاد دون القلب معنى أشمل ؛لأنه "ألطف ما في البدن وأشده تألماً بأدنى شيء من الأذى"[(٢)]،وهذا يناسب مقام الحزن الذي يعيشه الشاعر.

---

(١) كتاب الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبى البقاء الكفوى- تحقيق: عدنان درويش- محمد المصري،عدنان درويش ،محمد المصري- الناشر:مكتبة الرسالة- الطبعة: الثانية- بيروت،١٤١٩هـ، ١٩٩٨م ص٦٩٦.

(٢) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي- تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي - الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م٢٢/٢٤٧.

ومن شواهد تصوير الدمع بالإفصاح والبيان قول الشاعر :

لاَ يَصُوغُ الرثاءَ إلا دموعاً***تَحْتَهَا لَوعَةٌ تُذِيبُ الحَيَازِمَ[1][2]

من شدة حزن الشاعر ووجده على أحبابه أنه لا يستطيع قول الكلام ولا صوغ الأشعار، والطريقة الوحيدة التي يستطيع من خلالها الإفصاح والبيان عن حزنه الكامن في داخله هي البكاء وسكب الدموع ، فالرثاء بالنسبة له هو الدموع التي تذرف ، وصاغ الشاعر معناه بأسلوب القصر البلاغي فقال: (لا يصوغ الرثاء إلا دموعاً) وطريق القصر هنا هو النفي والاستثناء ، وهو من باب قصر الموصوف على الصفة قصراً إضافياً ، حيث قصر صوغ الرثاء على صفة الدموع، فصوغ الرثاء مقصور، والدموع مقصور عليه ، ويُستخدم هذا الطريق غالباً فيما ينكره المخاطب، أو فيما يشك فيه، يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني : "وأما الخبر بالنفي والإثبات: ما هذا إلا كذا، وإن هو إلا كذا، فيكون للأمر ينكره المخاطب ويشك فيه، فإذا قلت: ما هو إلا مصيب، أو ما هو إلا مخطئ، قلته لمن يدفع أن يكون الأمر على ما قلته، وإذا رأيت شخصًا من بعيد فقلت: ما هو إلا زيد، لم تقله إلا وصاحبك يتوهم أنه ليس بزيد، وأنه إنسان آخر، ويجدّ في الإنكار أن يكون كذلك"[3]، ما يعني أن الشاعر يقول هذا لمن يشك في رثائه ويتهمه بأنه رثاءً لا يحتوي على حزن ولا ينبع منه ألم ، فأراد أن يؤكد لهم عكس ذلك ، فرثائه عبارة عن دموع حارة ، تتقطع الحيازم تحتها.

وكما معلوم لدى أهل البلاغة أن الأساليب البلاغية يتزاحم بعضها مع بعض، ولكنها لا تتعارض، أقول هذا ؛لأن التعبير بالدمع هنا مقصور عليه ، ومع

---

(١) الحَيَازِم : هي جمع الحَيْزُوم ، وهو الصَّدْر ، وقيل : وسطه ، وقيل : الحيَازيمُ ضلوع الفُؤاد، وقيل : الحَيْزوم ما استدار بالظهر والبطن ، وقيل : الحَيْزومانِ ما اكتنف الحُلْقوم من جانب الصدر، ينظر لسان العرب : مادة (حزم)

(٢) الديوان: ١٧٨.

(٣) الديوان: ١٧٨.

ذلك يمكن حمله على الاستعارة التصريحية الأصلية ؛ لأن الرثاء يكون شعراً وهو "ما يدل على أن الميت قد مات؛ فيجمعون بين التفجع والحسرة والأسف والتلهف والاستعظام، ثم [يذكرون] صفات المدح مبللة بالدموع ، لمن يموت حتف أنفه؛ أو يقتل في غير حرب من حروب التاريخ، كالغارة ونحوها، فحينئذ يعددون المآثر ويبالغون في الفجيعة كأن هذا الموت غير طبيعي فيمن يستحق أن يموت"(١)، وعلى هذا يكون الشاعر قد شبه الشعر بالدموع وحذف المشبه واستعار له صورة المشبه به على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية ، والجامع بين طرفي الاستعارة هو إظهار التفجع والحزن على موت إنسان عزيز على القلب ،وتكمن بلاغة الاستعارة هنا في أنها تطوي لك المسافات التي تكون بين التفكير في الكلمات التي يصوغ منها الشاعر قصيدته ، ثم بعد ذلك يثقفها وينقحها ثم يخرج لنا قصيدة موزونة ،فالاستعارة تطوي لنا كل هذا وتصور لنا المشهد الأخير والذي يتسم بالصدق والوفاء وهو مشهد البكاء والحزن ، والدموع التي تتحدر من الجفون.

(١) تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي ت ١٣٥٦هـ–تحقيق: راجعه وضبطه عبدالله المنشاوي ، ومهدي البحقيري – الناشر: مطبعة الإيمان – الطبعة : الأولى(٩٦/٢)

ثالثاً : وصف الدمع بالحمرة

المرحلة التي تصل فيها الدموع إلى الاحمرار تُعَد من المراحل المتقدمة في الحزن والبكاء والحسرة، لدلالتها على أن قلب المرء يكاد ينفطر، فهذا اللون يدل دلالة قوية على أن الخطب عظيم، والمصاب جلل، وللمرثي مكانة عالية في قلبه، فمن الشواهد التي يصور فيها الشاعر الدموع باللون الأحمر قوله:

وأذْرِي الدموعَ الحُمْرَ يا مصرُ! إنَّه***دَنَتْ فِي سَبِيلِ الذودِ عَنْكِ مَصَارِعُهُ[1]

يشبه الشاعر مصر بإنسان يطلب منه أن يبكي الدموع على أحد أبنائها الذين لقى مصرعه في سبيل الدفاع عنها، والذود عن حماها، وهو زعيم الوطنية (سعد باشا زغلول)[2]، فيأمرها ويناديها نداء الإنسان العاقل على سبيل الاستعارة المكنية ، وبلاغة الاستعارة في تصوير معنى العموم الذي أضفته على الحزن حتى وصل إلى البلد نفسها جراء هذا الحادث الأليم.

ونجد فعل الأمر الموجه لغير العاقل يحمل في طياته معنى التمني، وقوله:(إنه دنت في سبيل الذود عنك مصارعه) كانت هذه الجملة التي صدرها بـ (إن) التي تفيد التوكيد بمثابة التعليل وذكر للسبب الذي جعل الشاعر يأمر مصر بالبكاء، ونلحظ تأخير النداء عن الجملة الإنشائية الطلبية، كما آثر التعبير بالأداة الموضوعة لنداء البعيد (يا) والمقام لا يستدعى ذلك، وفى هذا إيحاء بمنزلة الفقيد، ويوحى بعظم الأمر المنادى من أجله وبأهميته، والنداء هنا يظهر منه معنى التحسر والتفجع ؛ حيث إن "نداء الاطلال والمنازل والمطايا وما أشبه ذلك يكثر فيه هذا ويقوى فيه معنى التحسر والتوجع[3].

---

(١) الديوان: ١٣٨.

(٢) الديوان : ١٣٨.

(٣) مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني – شروح التلخيص – الناشر : دار الكتب العلمية بيروت٢/٣٣٧، ٣٣٨.

ويصرح الشاعر بوصف الدمع بالحمرة ؛ ليؤكد مدى حزنه الذي غير لون الدمع إلى الاحمرار، وكأن دموعه لا تمتلك صفة غير صفة الحمرة، وقد عده بعض العلماء طريقاً من طرق القصر، وذكرهُ الرازي فقال: "اللام في الخبر تفيد انحصار المخبر بهِ في المخبر عنه مع قطع النظر عن كونهِ مساوياً أو أخص منه" (١) فهو من باب قصر الموصوف على الصفة، فقصر صفة الحمرة على الدمع، أي لا تبكي إلا دمعاً أحمراً

ثم يبين لنا السبب والدافع وراء سكب الدموع حمراء وما الذى فعله سعد زغلول من أجل مصر؟ فقد دنت مصارعه في سبيل الذود عنها، والتعبير بكلمة (مصارع) توحى بمعنى القتل لا الموت موتاً طبيعياً ، تقول :"مَصَارِعُ الْقَوْمِ : حَيْثُ قُتِلُوا"(٢) ، ومعنى القتل يناسب التعبير بالذود والدفاع ، وكأن أحداً يصارعه ، أضف إليها بلاغة الجمع في الكلمة ، فلكل واحد مصرع بخلافه هو فله أكثر من مصرع، وتقديم الجار والمجرور في سبيل الذود عنك على الفاعل (مصارعه) للعناية والاهتمام بشأن المقدم ، وسبب العناية والاهتمام بالمُقدم التنبيه على أنه يجب على كل شخص أن يدافع عن بلده مهما كلفه الأمر ذلك ، فحماية الأرض واجب مقدس، وبهذا يكون الشاعر سخر الأساليب البلاغية لخدمة غرضه ،ومزج بينها مزجاً قوياً لتصوير الدمع باللون الأحمر، فجعل الدمع هو المعنى الرئيس في البيت وغيره تابع له.

ومن الشواهد البليغة في وصف الدموع بالدماء قوله :

عبراتٌ قانياتٌ لفظتْ*** مِنْ مَآقِي العينِ أكبادَ الصِحَابِ(٣)

---

(١) ينظر : نهاية الايجاز في دراية الإعجاز للإمام فخر الدين بن عمر بن الحسين الرازي- تحقيق: د/ نصر الله حاجي مفتي أوغلي – الناشر: دار صادر – بيروت – لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٢٤ه ، ٢٠٠٢م صـ٨٢.

(٢) ينظر : لسان العرب : مادة(صرع)

(٣) الديوان : ١٥٣

الشاعر لم يعبر هنا بلفظ الدمع ولكنه عبر بـ(عبرات) والفرق بينهما كبير حيث إن دلالة العبرات على البكاء والدموع أبلغ وأشمل؛ لما تدل عليه معنى الكلمة من "الدَّمْعة، وقيل: هو أَن يَنْهَمِل الدمع ولا يسمع البكاء، وقيل: هي الدمعة قبل أَن تَفيض، وقيل: هي تردُّد البكاء في الصدر ، وقيل : هي الحزن بغير بكاء"(١)، والمقام يسمح بقبول هذه المعاني ويتسع لها ، ولعلها حالات تعتري الإنسان عندما يبكي على ميتٍ له ، وكل هذه المعاني تصف لنا الحالة النفسية للشاعر فمن شدة حزنه تهطل دموعه من غير أن يسمع لبكائه صوتاً، أضف إلى ذلك أن الشاعر أتى بها على صيغة الجمع لا المفرد فلم يقل (عبرة) فأضاف إلى هذه المعاني معنى الكثرة والغزارة، ثم وصف هذه العبرات بقوله: (قانيات) أي: "شديدة الحُمرة"(٢) ، وهو الوصف الرئيس للدموع في البيت ، ولا يتحول لون الدمع إلى الحُمرة إلا إذا كثُر وطالت مدة البكاء، فيُعد هذا من قبيل الكناية عن صفة وهى طول البكاء وشدته.

ثم يترقى الشاعر في وصف دموعه فيقول: إن هذه العبرات من شدتها لفظت أكباد الصحاب الذين شهدوا وفاة صاحبهم، وهذا تجوز في الإسناد، فالعبرات لا تستطيع أن ترمي وتلفظ الأكباد وإنما هي سبب، فالتعبير بـ(لفظت)(٣)على سبيل المجاز العقلي وعلاقته السببية ، وبلاغة المجاز هنا أنه يصور لنا مشهداً غاية في الصعوبة ، فيجعلك ترى أمامك الأكباد وهى تخرج من مجاري دمع العين ومآقيها من فرط الحزن والأسى ، فالمجاز العقلي أعطى الصورة نوعاً من الإيجاز، وبالغ في تخييل الصورة عند المتلقي.

---

(١) لسان العرب مادة (عبر) .

(٢) قَنَأَ الشيءُ يَقْنَأُ قُنُوءًا : اشْتَدَّتْ حُمرَتُه ، لسان العرب مادة (قنأ) .

(٣) اللفظ: أَن ترمي بشيء كان في فِيكَ ، والفعل لَفَظ الشيءَ ، يقال: لفَظْتُ الشيء من فمي أَلفِظُه لَفْظاً رميته، لسان العرب مادة (مأق) .

والشاعر في نظمه العام للصورة يحرص على الانسجام والتوافق بين عباراته ، فجعل صيغة الجمع شائعة في البيت كله ، مكرراً إياها في خمس كلمات، هي: (عبرات، قانيات، مآقي، أكبادَ، الصحاب) كلها على صيغة الجمع، هذه الجموع تدل دلالة واضحة على معنى الكثرة ، الكثرة في كل شيء فالدموع كثيرة ، والحمرة شديدة ، كما تدل على ما يحتله هذا الميت من مكانة عالية في قلوبهم، وإلا ما ذرفت كل هذه العبرات، وما اجتمع له كل هؤلاء الصحاب الذين تفتت أكبادهم حزناً عليه، يؤكد هذه المكانة ما عبر به الشاعر في(مآقي)[1] وهى مشتقة من الفعل (مأق) والمَأَقة "بالتحريك : شبه الفُواق يأْخذ الإِنسان عند البكاء والنَّشيج كأَنه نفس يقلعه من صدره المَأْق شدة البكاء"[2]،فلا يفعل المرء بنفسه هذا إلا إذا كان المُصاب عظيماً، والميت كبير القدر.

(١) ومُؤق العين ومُوقُها ومُؤقِيها ومَأْقيها: مُؤَخَّرُهَا، وقِيلَ مُقَدَّمُهَا، : لسان العرب مادة (مأق).
(٢) ينظر : لسان العرب مادة (مأق) .

رابعاً : وصف الدمع بالغمام والمطر، يقول الشاعر:

لِمَنْ ذَاكَ النَّعْشُ تَجْرِي الدُّمُوعْ***له صَيِّباً كَدُمُوع الغَمَامْ[1]

يتبع الشاعر جنازة أحد أعلام الصحافة وقتها، ويستهل بيته بأسلوب استفهامي يقول : (لمن ذاك النعش) وهو استفهام مجازي يحمل بين طايته معنى التفجع والتحسر، وآثر التعبير بأسلوب الاستفهام لما يشتمل عليه من لفت الانتباه، وإيقاظ لذهن المتلقي ، فهو يعرف لمن ذاك النعش ، والموجه إليه السؤال يعرف أيضاً ، ولكن الاستفهام أورث الصورة معنى جديداً وهو شدة ما يعانيه الشاعر من الحزن ، فكأنه لا يصدق أن النعش يحوي بداخله أحد أصحابه ، فنزل نفسه منزلة المنكر للأمر.

ثم يرسم صورة لدموعه مشبهاً إياها بدموع الغمام المحملة بالماء والتي تهطل من السماء ، وقد ذرفت هذه الدموع حزناً على الأحبة الراحلين الذين هجروا الديار وقضوا نحبهم، وصنعة الشاعر في وصف دموعه واضحة جلية ، فعبر أولاً بالفعل المضارع (تجري) دون الماضي (جري) ليؤكد على أن الدموع مستمرة في النزول ومتجددة لا تنقطع ولا تنتهي ، ثم أكد على هذا المعنى بالتعبير بكلمة (صيِّباً) والتي تعني الانهمار والتدفق تقول : "صابه المطر أي: مطر وفي حديث الاستسقاء : اللهم اسقنا غيثا صيبا أي منهمرا متدفقا"[2]، والتكرار يدل على التوكيد فنجده يكرر كلمة الدموع فيقول: (كدموع الغمام) فيجعل المشبه به إنسانا يسح الدموع سحا ، فيجعل الغمام في مقام الإنسان على طريقة الاستعارة المكنية ثم يحذف المشبه به ويسند لازمه للمشبه(الغمام) تخييلا، فمن صنعته أنه بني صورة الدمع على الصورة التشبيهية ، ثم جعل المشبه به صورة استعارية، مبالغة منه في وصف هذه الدموع بالكثرة وديمومة الهطول.

---

(١) الديوان: ١٤٩

(٢) لسان العرب مادة (صوب) .

وختم الشاعر صورته بلفظ (الغمام) ولم يعبر بـ(السحاب) فلم يقل كدموع السحاب، ليس مراعاة للفاصلة فقط بل لأن التعبير بالغمام يناسب مقام الحزن الذي يعتريه ، فهذه الكلمة تتعدد فيها المعاني ، نجد فيها مثلاً معنى (الغم) أي: "الهم والحزن، وتوحي أيضاً بمعنى "العطش وحر الجوف"[١] ، يقول الإمام الآلوسي –رحمه الله–"والغمام اسم جنس كحمامة وحمام وهو السحاب، وقيل: ما أبيض منه، وقال مجاهد: هو أبرد من السحاب وأرق، وسمي غماماً لأنه يغم وجه السماء ويستره ومنه الغم والغمم"[٢] فربما قصد الشاعر من التعبير بها وصف دموعه أولاً ، واحترز عن كون الغمام لا ماء فيه بالتعبير بكلمة الدموع السابقة ، ثم قصد ثانياً وصف حالته النفسية وما أصابها من غم وهم وحزن على فقدان صاحبه.

وشاهد آخر يستعين فيه الشاعر بصورة القطر الذي ينزل من السماء، يقول:

(أأحمدُ) جَلَّ الخَطبُ فِيكَ وأَبرَحَتْ****فَجِيعَةُ حُرٍّ أَسْبَلَتْ دَمْعَنا قَطْرا[٣]

وكان خبر موت الدكتور أحمد ماهر باشا رئيس الوزراء آنذاك[٤] عظيماً وجليلاً، فجاءت فجيعة الخبر عليه مثل الصاعقة، وهنا ينادي الشاعر على أحد الذين قضوا نحبهم نداء القريب، وكما هو معلوم أن "نداء المتوجع منه أو المتفجع عليه الغاية منه إظهار التحسر والتحزن"[٥]، وكأنه لا يصدق ما حلَّ به

(١) لسان العرب مادة (غيم) .

(٢) روح المعاني ف تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي البغداردي، حقق هذا الجزء : ماهر جيوش – الناشر : مؤسسة الرسالة ، ط الأولى ١٤٣١هـ ،٢٠١٠م، (١٨٢/٢) .

(٣) الديوان: ١٨٨

(٤) الديوان: ١٨٨

(٥) حاشية الدسوقي على شرح السعد – شروح التلخيص– الناشر : – دار الكتب العلمية بيروت(٣٣٧/٢).

من موت فيناديه نداء القريب فقال:(أأحمد)مستخدمًا الهمزة، والمنادى هنا بعيد المكان بموته ولكنه نزله منزلة القريب للإشعار بأنه حاضر في الذهن لا يغيب عن الخاطر.

والمتأمل في تعبير الشاعر بالفعل (أسبلت) يلمح منه وفرة وغزارة في المعنى ، فلم يعبر الشاعر هنا بالفعل أسال مثلاً مع إفائه بالغرض ؛وذلك لأن مادة الفعل أسبل تناسب ما ذكره آخر البيت من تشبيه الدموع بالقطر، فهي من الكلمات التي تتعدد معانيها، "فالسَّبَلُ، بالتحريك: المَطَر، وأَسْبَلَ دَمْعَه، وأَسْبَلَ المطرُ والدمعُ إذا هَطَلا ، والاسم السَّبَل ، بالتحريك ، وفي حديث رُقَيْقَةَ : فَجادَ بالماء جَوْنيٌّ له سَبَل أَي مطَرٌ جَوْدٌ هاطِلٌ والسُّبْلَة المَطْرَة الواسعة"(١)، ومن خلال هذا التفسير نستطيع القول بأن فجيعة موت أحمد باشا سالت عليه سيول الدمع، وبسببها هطلت دموعه هطول الأمطار، مع ما تحمله كلمة (برح) من بلوغ الغاية، "وأَصلُ التَّبْرِيحِ: المشقَّةُ والشدّة" (٢).

ويتميز وصف الشاعر لدمعه هنا بأنه لم ينسب الدمع لنفسه فقط فلم يقل (دمعى) بل قال : (دمعنا) بإضافة (نا) الفاعلين؛ ليوضح لنا كثرة الذين يبكون وغزارة الدمع في آن واحد ، وهذا يتناسب مع ما بدأ به بيته بقوله: (جلَّ الخطب، وفجيعة حر) فجاءت تعبيراته متناسقة يدل بعضها على بعض.

ولم يقف الشاعر عند هذه البلاغة في الوصف بل ترقى فيه بالإتيان بوصف آخر للدمع وهو (قطرا) وهو الوصف الرئيس للدمع هنا، فشبه دموعهم بالقطر الذى ينزل من السماء ، ووجه الشبه بين المشبه والمشبه به هو النزول المصاحب للكثرة والغزارة ، فهذا التشبيه الغاية منه بيان الحالة التي يكون عليها المشبه، وربما كان اختيار الشاعر لكلمة (قطرا) لا يتناسب بلاغياً مع المقام ؛ حيث أن المطر في هذه الحالة لا يتصف بالغزارة والكثرة في الهطول ، فهو "يقطر

---

(١) لسان العرب مادة (سبل) .

(٢) نفسه مادة (برح) .

قطراً من تَقْطِيرُ الشيء" إسالته قَطْرَةً قَطْرَةً"[١]، وتأتي عدم المناسبة من وصف الشاعر للحدث بأنه جلل فقال: (جلَّ الخطبُ) ، أَي: "عَظُم الأَمرُ والشأْن"[٢]، ثم وصف هذا الحدث مرة أخرى بأنه(فجيعة) كل ذلك يستدعي حالة للمطر يكون فيها شديد الانصباب .

(١) لسان العرب مادة (قطر) .

(٢) نفسه مادة (خطب) .

خامساً : وصف الدمع بإنبات العشب، يقول الشاعر :

مَا طَوى المَوتُ صَاحِباً لِي إلاَّ***أَنبَتَ العشبَ مَدْمَعِي فِي تُرَابِه[1]

في هذا البيت يصف لنا الشاعر حاله عندما يفقد أصحابه ، فكلما مات أحدهم بكى حتى بلَّ الدمع الأرض ، وأنبت الزرع والعشب من كثرة ما يبكى، وقد تجوز الشاعر في إسناد الفعل إلى غير فاعله الحقيقي ؛حيث إن المدامع لا تستطيع أن تنبت العشب، ولكن الفاعل الحقيقي لهذا الفعل هو- المولى- سبحانه وتعالى- والعلاقة في هذا المجاز هي علاقة السببية ، فكثرة المدامع وما ينزل منها هو السبب وراء إنبات العشب ، والصورة في مجملها كناية عن صفة ، وهي صفة الكثرة والغزارة الموصوف بها الدمع فلا يستطيع أن ينبت عشباً إلا إذا كان ماء الدمع بلغ من الكثرة ما يجعله يروي الأرض فينبت عشبها، وذكر الشاعر لقوله:(في ترابه) ؛ليبين أن هذا العشب مستقر في باطن الأرض ، ومغطى بالتراب فيحتاج إلى الماء الوفير لإخراجه، وهذ وصف دقيق من الشاعر في جعل دموعه غزيرة ووفيرة لدرجة أنها تمتلك القدرة على إنبات الأعشاب في الأرض، وفي تقديم المفعول به (العشب) على الفاعل(مدمعي) حصر مصحوب بالعناية والاهتمام بشأن المقدم فلا ينبت العشب إلا مدمعه ، وهو من باب قصر الصفة على الموصوف قصراً إضافياً ، وكأن الدمع لا يمتلك صفة غير صفة الانبات، وهذه المبالغة من الشاعر تتناسب ومقام الحزن والتأسي على موت أصحابه، وربما اختار صورة العشب خاصة لأنها صورة تدل على الخير والنماء، ويستفيد منه كل المخلوقات، وفي هذا إشارة خفية لمكانة أصدقائه العالية في المجتمع، ومكانتهم في قلبه خاصة؛ حيث عبر بالصاحب دون الصديق، والصديق أقرب للإنسان من الصاحب ؛لأن الصُّحْبَة "تفِيد انْتِفَاع أحد الصاحبين بِالْآخر[2]، بينما

---

(١) الديوان: ١٥٥

(٢) ينظر :الفروق اللغوية ، للأمام أبي هلال العسكري تحقيق: د/ محمد إبراهيم سليم- الناشر: دار العلوم والثقافة القاهرة، ١٤١٨هـ ١٩٩٧م - بدون- ص٢٨٣، ٢٨٤.

الصداقة تفيد اتِّفَاق الضمائر على الْمَوَدَّة[١]، فالصداقة أخص من الصحبة، وتعبير الشاعر يدل على أن هذا البكاء وهذه الدموع على الصاحب فما بالك بالصديق أو القريب، فسوف تكون أشد وأكثر.

كما أن وصف الدموع بهذه الصفة يدل على الاستمرارية وعدم الإنقطاع ؛وذلك من جهتين الأولى: وهو عدم توقف الموت فهو مستمر قال تعالى (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) [٢]، والثانية: عدم توقف الإنبات وخروج العشب من الأرض لعدم توقف البكاء، هذا التقابل المعنوي الذى رسمه لنا الشاعر بين صورة الموت وبين صورة الإنبات يبين لنا مدى حزن الشاعر وحسرته على فقد أصاحبه، ومدى تقبله موتهم في آنٍ واحد.

ولم يكن المجاز المرسل هو الأسلوب الوحيد الذي أتكأ عليه الشاعر في تصوير دمعه، فنجد أنه مزج بين المجاز المرسل وبين أسلوب القصر مستخدماً فيه طريق النفي والاستثناء فقال:

مَا طَوى المَوتُ صَاحِبَاً لِي إلاَّ***أَنبَتَ العشبَ مَدْمَعِي فِي تُرَابِه

فصفة إنبات العشب من مدمعه مقصورة على موت الصحاب ، بحيث لا يتعداها إلى غيرها من سائر الصفات بأن يجعل ما عداها من الصفات غير معتد به، وكأنه لا صفة له غير إنبات العشب، وهو من باب قصر الموصوف على الصفة، وهو قصر إضافي ادعائي وتبرز بلاغة هذا القصر في بيان أهمية هذه الصفة وما يستطيع موت الصحاب أن يفعله بالإنسان.

يكرر الشاعر صورة الدموع التي تنبت العشب في موضع آخر، يقول فيه:

تَركْتَ البَوادي عَلى مَحلِّها***وَقَد أَنبتَ العُشْبَ فِيهَا البكاءُ[٣]

(١) الفروق اللغوية ، للأمام أبي هلال العسكري، ص ٢٨٥.

(٢) سورة آل عمران : آية ١٨٥.

(٣) الديوان: ١٣٤.

يرثي الشاعر في هذا البيت جلالة الملك فيصل الأول[١] ، وقد وغاير الشاعر نظمه في هذا البيت في تصوير الدمع فلم يصرح بلفظ الدمع وأتى بما يدل عليه فقال: (وقد أنبت العشب فيها البكاء) وآثر التعبير بالبكاء لما يشتمل عليه من معنى والكلام مبني على المجاز العقلي لإسناد الإنبات إلى الدموع لعلاقة السببية، وبلاغة الصورة تأتي من إتيان الشاعر بـ(قد) التي تفيد التحقيق والتثبيت ، فالإنبات واقع لا محالة ، ثم التعبير بالفعل الماضي والذي يفيد تحقيق وقوع الفعل وكأنه أمر يحدث منذ زمن بعيد، ولم يكتف الشاعر بذلك حتى أتى بحر الجر(في) والذي يفيد الظرفية ، فخروج العشب من باطن الأرض وتمكنه فيه ، يقابله البكاء الذي يخرج من القلب .

ومن الأساليب البلاغية التي كان لها عظيم الأثر على صورة الدمع الطباق الذي وقع بين (محلها، العشب) ؛لأنه المَحَلَ هنا تعني: "الجدبُ وهو انقطاع المطر ويُبْسُ الأَرض من الكَلإِ"[٢]، وهو طباق إيجاب خفي ؛لأن الطرف الأول غير واضح وقد وقع بين اسمين، فمن خلال هذا الطباق نستطيع أن نرى كيف كانت أرض البوادي جرداء لا زرع فيها ثم أصبحت مخضرة يملأها العشب، وتقديم المفعول به والجار والمجرور وهو (العشبَ فيها) على الفاعل (البكاءُ) ليس للحصر بل للاهتمام والعناية بصورة العشب ،ولفت الانتباه إلى الأثر الذي يحدثه الدمع عندما يكون المصاب عظيماً، فيتآزر التقديم مع أسلوب الطباق للتأكيد على الدمع بلغ من كثرته مبلغاً كبيراً جعل البوادي التي أصابها الجدب تصير خضراء، هذه الكثرة يقويها صيغة الجمع التي في كلمة البوادي ، فليست بادية واحدة.

---

(١) الديوان: ١٣٥.

(٢) لسان العرب مادة (خطب) .

سادساً : وصف الدمع بالعقيان، يقول الشاعر :-

أَمْدَاوِىَ المَرْضَى أَفِقْ لِتَراهُمُو****سَالَتْ عَلَيْكَ دُمُوعُهم عِقْيَانَا[١]

يرثي الشاعر طبيباً وافته المنية فجأة ، فحزن عليه المرضى، وجزع لفقده الناس ، فيناديه الشاعر في هذا البيت نداء القريب مستخدماً(الهمزة) ليصرح بتحسره وحزنه الدفين على فقده ، ويبين لنا شدة قربه منه في المكانة لا في المكان ، وإن كان لا يستطيع إجابته ، يقول له : (أمداوي المرضى) فتجده نزَّل البعيد منزلة القريب، فناداه بالهمزة ، للإشعار بأنه حاضر في القلب ولا يغيب عن الخاطر، "حتى صار كأنه حاضر مشاهد، فهو قريب منه لا يترك فكره ولا يبرح خياله ولا يغيب عن وجدانه" [٢]، أضف إلى ذلك أنه لم يناده باسمه بل نعته بأفضل صفة يتصف بها الطبيب ويبرع فيها وهي شفاء المرضى ــ بإذن من الله تعالى ــ ، وهذا كناية عن موصوف ، وهى من الكنايات القريبة التي يكون الانتقال فيها إلى المطلوب بغير واسطة بين المعنى المنتقل عنه والمعنى المنتقل إليه.

ثم ينتقل الشاعر إلى وصف حال هؤلاء المرضى ، وكيف كان وقع الخبر عليهم ، فقد نال منهم الحزن حتى سكبوا الدموع ، فاتكأ الشاعر في وصفه للدمع على الصورة الاستعارية، فقال: (سالت عليك دموعهم عقيانا[٣]) فشبه الدموع بالعقيان تشبيهاً بليغاً ، حذف منه الوجه والأداة ، والغرض من التشبيه هنا هو بيان قيمة المشبه وأن هذه الدمع غالية ، وفي إيثار التعبير بها دلالة واضحة على أن دموعه غالية عنده ، ولا يذرفها على أي أحد ، وإنما الذي يبكيه له من

---

(١) الديوان: ١٧٤

(٢) علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني الأستاذ الدكتور/ بسيونى عبد الفتاح فيود- الناشر: مؤسسة المختار القاهرة ، دار المعالم الثقافية الأحساء(١١٦/٢).

(٣) العقيان ذهب ينبتُ نَباتا وليس مما يستذابُ ويُحصل من الحجارة وقيل هو الذهب الخالص: لسان العرب مادة (عقا).

المكانة العالة ما يجعله يستحق هذه الدموع ، فقد كان هذا الطبيب سبباً في شفائهم من الأمراض ، فحقهم أن يبكوا عليه عقيقاً، ولم يعبر الشاعر بصفة (الذهب) لأن التعبير بالعقيان يوحي بأن هذه الدموع خالصة لا يشوبها شيء.

وقدَّم الجار والمجرور على الفعل، فلم يقل: (سالت دموعهم عقيقا عليك) والأصل في فائدة التقديم أنه للعناية والاهتمام يقول الإمام عبد القاهر الجرجاني : "وقد وَقَعَ في ظنونِ الناسِ أَنّه يكفي أنْ يقالَ: "إنه قُدِّم للعناية، ولأنّ ذكْرَه أَهمُّ"، مِنْ غير أن يُذْكَر، مِنْ أين كانت تلك العنايةُ؟ وبمَ كانَ أهمَّ؟"[1] أي: أن الذي يهمهم ويعنيهم في هذا الموقف هو موت طبيبهم ، وليس سيلان الدموع وبجانب العناية والاهتمام نجد معنى الحصر أي سالت هذه الدموع عليك وحدك لا على غيرك، والمقام يستدعي ذلك ويؤكده ، فقد كان هذا الطبيب بالنسبة لهم الملجأ الوحيد بعد الله سبحانه وتعالى.

وفي موضع آخر يستخدم الشاعر وصف العقيان ويكسو به دمعه،فيقول:

وكَسَا لَآلِي أَدْمُعِي وَجُمَانِهَا[2] * * * لَوْنَ العَقِيقِ[3] وصِبْغَةَ العِقْيَانِ[4]

يتحدث الشاعر هنا عن خبر وفاة أحد أصحابه، وعندما بلغه الخبر مساءً[5] لم يتمالك نفسه ولم يستطع الذهاب لشدة مرضه حينها، فطار النوم من عينيه ، وانهمرت الدموع المصبوغة بلون العقيق وصبغة العقيان.

---

(١) دلائل الإعجاز للشيخ الإمام أبي بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ، (ت ٤٧١هـ) – تحقيق: محمود محمد شاكر أبو فهر – الناشر: مطبعة الخانجي بالقاهرة – الطبعة: الثالثة ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢ م ص: ١٠٨.

(٢) الجمان : هنوات تتخذ على أشكال اللؤلؤ من فضة ،وقيل : حب يتخذ من الفضة أمثال اللؤلؤ: لسان العرب مادة (جمن) .

(٣) العقيق: خرز أحمر يتخذ منه الفصوص: لسان العرب مادة(عقق).

(٤) الديوان: ١٥٩.

(٥) الديوان: ١٥٩.

فنجد أن الشاعر بدأ تصوير دموعه بطريق التشبيه ، فالمشبه (الدمع) والمشبه به هو(الآلي ،الجمان) والأداة ووجه الشّبه محذوفان، وهذا من باب إضافة المشبّه به إلى المشبّه، وهذا من التشبه البليغ وقد تعدد فيه المشبه به دون المشبه فسمى بتشبيه الجمع ، وبما أن المشبهين بهما من جنس الأحجار النفيسة الغالية فيكون الغرض من التشبيه هو بيان حال الدموع وما آلت إليه من التلألأ والظهور والبيان ، فكما أن اللؤلؤ يظهر عند وضعه للزينة كذلك دموعه أصبحت ظاهرة جلية على وجهه وبعد هذا التشبيه ترقى في التصوير حيث جعل من للدموع كساءً يكسوها، ولون هذا الكساء مصنوع من العقيق الأحمر، مضافاً إليه لون العقيان، أي الذهب الأصفر، هذه الاستعارة التصريحية التبعية التي وقعت في الفعل (كسا) جعلت الشاعر يعيش حالة الاضطراب، فبعد أن كانت دموعه مثل اللؤلؤ والجمان ، تحولت إلى اللون الأحمر القاني، ثم إلى اللون الأصفر، فنستشعر تدرج الشاعر في وصف لون دموعه، وكيف انتهى إلى اللون الأصفر والذي يدل على حالة الضعف والذبول من كثرة البكاء.

والصورة في حد ذاتها توحي بشدة حزن الشاعر على هذا المفقود، حيث خلع على الدمع وصفاً يدل على قيمته الغالية والثمينة، فوصفه بالجمان واللآلئ والأحجار الكريمة المصبوغة باللون الأحمر القاني ،فلن يبذل هذا الغالي إلا لمن يستحق، كما أنه خلط بين الأحمر المستفاد من العقيق واللون الأصفر المستفاد من العقيان ، وربما في هذا إشارة إلى ما يشعر به الشاعر من وجد وحزن واضطراب.

سابعاً: وصف الدمع بالحرارة ، يقول الشاعر:-

لِي كُلَّ يَومٍ عَبْرَةٌ مَسْفُوحَةٌ****حَرَّى تَشُبُّ عَلى البُكاءِ أُوَارِي[1]

وتختلف بنية صورة الدمع في هذا البيت عن سابقيها من حيث تعدد الصفات التي وصف بها الدمع، فأول هذه الصفات الدوام وطول البكاء واختصاص الدمع به وحده دون غيره، وذلك من خلال التعبير بقوله: (لي كلَّ يومٍ عبرةٌ) فالشمول والعموم المستفاد من ألفاظ العموم(كل)أورث الدمع معنى "الاستمرار وعموم الاستغراق، لكونها للعاقل وغير العاقل"[2]،فلا يمر يوم عليه إلا ودموعه تذرف على فقدان صاحبه حزناً وحسرة عليه، مما دعاه إلى الإتيان بصفة أخرى تُعَمِّق معنى الحزن وهي قوله: (مسفوحةٌ) أي: "مصبوبة والسفح للدم: كالصب ورجل سفاح للدماء: سفاك، وسفحت دمه: سفكته"[3]، فإما أن يكون الشاعر شبه الدموع بالدماء ثم حذف المشبه به ورمز إليه بشيء من لوازمه وهو كلمة مسفوحة على سبيل الاستعارة المكنية ويكون غرض الشاعر تصوير الدمع نفسه بلون الدماء الحمراء فالنظر هنا للون ، وإما أن يكون شبه سيلان الدموع بسَفح الدماء ثم حذف المشبه واستعار له صورة المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، وتختلف عن المكنية في أن التصريحية تصور الهيئة التي ينزل بها الدمع وما يكون فيه من سفك للنفس وألم بداخله يعتصره عصراً، وهذا يدل على دقة صورة الدمع.

هذه الدقة لم تقف عند هذا الحد بل زاد عليها الشاعر شيئاً آخر هو : (حرَّى تَشُبُّ على البكاء أواري) وهو الوصف الرئيس للدمع ، ففضلا عن كون

---

(١) الديوان: ١٦٩.

(٢) الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز، يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم، الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللَّه ت: ٧٤٥هـ – الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ هـ ٨٤/٢.

(٣) لسان العرب مادة (سفح).

هذه العبرات دائمة كل يوم وتشبه الدماء المسفوحة ، هذه العبرات شديدة الحراة تُشعِل النار وتزيد البكاء تقول :"شَبَّ النَّارَ وَالْحَرْبَ : أَوْقَدَهَا الشَّبُوبُ بِالْفَتْحِ : مَا يُوقَدُ بِهِ النَّارُ هَذَا شَبُوبٌ لِكَذَا أَيْ يَزِيدُ فِيهِ وَيُقَوِّيهِ"[١]، وعلى هذ التفسير يكون المعنى أن الدموع تقوي أواره وتزيد منها وتشعلها، فالشاعر شبه الدموع بالوقود الذي يزيد النار اشتعالاً وذلك على سبيل الاستعارة المكنية ، وآثر التعبير بـ(الأُوارُ) : لما تحمله من المبالغة في المعنى فهي تعني شدَّةُ حر الشمس ولفح النار ووهجها والعطشُ ، وقيل: الدُّخان واللَّهَبُ[٢]، فمن خلال هذه الأساليب البلاغية استطاع الشاعر تصوير دموعه بشدة الحراة والتوهج حتى وصلت إلى الغليان والاشتعال.

ومن الشواهد البلاغية التي تصور الدمع بالحرارة ، قوله

يَقُولُونَ لِي: كَفْكِفْ مَدَامِعَكَ الحَرَّى***فَقُلتُ لَهُم: إنِّي بِتَسكَابِهَا أَحْرَى [٣]

أسلوب الأمر من الأساليب القوية ذات التأثير القوي في المتلقي ، كما يغلب عليها معنى الوجوب ،إلا إذا اقتضى السياق معنى آخر غيره ، وقد وردت صيغة الأمر هنا بفعل الأمر الصريح (كَفْكِف) ، وتحمل بين طياتها نبرة النصح والإرشاد ليس لأن الآمر مساوياً له فقط ، بل لأن الموقف يستدعى هذا المعنى ويطلبه، فقد بكى الشاعر على رئيس مجلس الوزراء الدكتور أحمد ماهر باشا [٤] ، بدموع ملتهبة شديدة الحرارة ، حتى كاد أن يهلك نفسه، فجاء هذا الأمر منهم ليخففوا عنه الحزن والبكاء، واتخذ الشاعر من المجاز المرسل وسيلة بلاغية للحديث عن

(١) لسان العرب مادة (شبب).
(٢) ينظر : لسان العرب مادة (أور).
(٣) الديوان: ١٨٥.
(٤) الديوان: ١٨٥.

دموعه فعبر بـــ(مدامعك) وهى: "مجتمع الدمع في نـــواحي العـــين"[١]، وعلاقـــة المجاز هي علاقة المحلية ،ومفاد الأمر أن يمسح الشاعر دموعه لا مدامعه، وفي وصفها بكلمة(الحرَّى) دلالة على شدة توهج دمعه وهيجان مدامعه، وهذا الوصف يعكس لنا شدة حزن الشاعر ، وفى التعبير بالفعل (كفكف) دون (امسح) لما فيه من معنى التكرار الضمني للفعل نفسه، من تكرار المسح مرة بعد أخـــرى ليزيـــل الدمع عن عينيه[٢] ،كذلك نرى تكراراً من نوع آخر في بنية الكلمة مـــن تكـــرار حرفي الكاف والفاء ، والكاف حرف شديد مهموس ولا تحدث الشدة والهمس في وقت واحد بل تكون الشدة في البداية ثم يتبعها الهمس[٣]، كذلك الفاء مهموســـة لضعفها، ولذلك يضعف الصوت بها حين جرى النفس معها، فلم يَقْوَ الصوت قوته في الجهورة فصار في الصوت بها نوع خفاء[٤] وهـــذ ينســـب صـــوت البكـــاء الضعيف ، كذلك حال الشاعر يكون البكاء في البداية شديداً ثم يعقبه هـــدوء ثـــم يعود الدمع إلى شدته ، وهكذا فبلاغة الكلمة الصوتية تصور لنا الحالة المضطربة التي يكون عليها الدمع مما دعا أصحابه إلى أمره بالكف عن البكاء الكثير.

---

(١) معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا – تحقيق : عبد السلام هـــارون – الناشر : دار الفكر للنشر سنة: ١٣٩٩هـــ / ١٩٧٩م،بدون ، مادة (دمع)

(٢) ينظر: تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الزبيدي – تحقيق: مصطفى حجازي – راجعه: عبد الستار أحمد فرج – مطبعة حكومة الكويت ١٣٩٣ه ، ١٩٧٣م بدون مادة(كفف).

(٣) ينظر: المفصل في التجويد مزود بالصور التوضيحية لعزة عبد الرحيم محمـــد ســـليمان – الناشر : مفكرون للنشر والتوزيع – الطبعة : الثانية ١٤٤٢ه ٢٠٢١م ، ص١٣١.

(٤) ينظر: الروضة الندية شرح متن الجزرية للعلامة ابن الجزري – شرح: محمود محمد عبد المنعم العبد– صححه : السادات السيد منصور – الناشر : المكتبة الأزهريـــة للتـــراث – الطبعة : الأولى ١٤٢٢ه ٢٠٠١م ، ص٢٦.

يعود الشاعر ويرفض تنفيذ الأمر معللاً هذا الرفض بقوله:(إنِّي بتسكابها أحرى) أي أولى بي وأجدر أن أزيد من سكب الدموع ، فساق الشاعر جملة من التأكيدات ، منها أنه عبر عن زيادة الدموع بصياغة الكلمة على وزن (تَفْعال) وهذ الوزن: مما بني لتكثير الفعل والمبالغة فيه"[١] وكما هو معلوم أن زيادة المبنى تدل على زيادة المعنى ،ولهذا يقول ابن جني: "إذا كانت الألفاظ أدلة المعاني، ثم زيد فيها شيء، أوجبت القسمة له زيادة المعنى"[٢]، كذلك صدَّر الجملة بـ(إنَّ) فأفادت هذه الجملة تعليل ما قبلها، ولما رفض تنفيذ الأمر ، فالتعبير بـ (إن) له فائدتان: الأولى أنها للتوكيد، إذ تؤكد مضمون الجملة، وهو سكب الدموع ، والثانية أنها للربط، فتربط جملتها بسابقتها فتأتلفان، وعن بلاغة ربط الجملتين بـ(إن) يقول الإمام عبد القاهر: "وأنْ تُفيدَ من رَبْط الجملةِ بما قبلَها أمراً عجيباً. فأنتَ تَرى الكلامَ بها مستأنفًا غير مستأنف، ومقطوعًا موصولاً معاً"[٣]،ولو أسقطت من الكلام لنبا ما بعدها عما قبلها ولكان الكلام سخفاً من القول، ويقول الإمام عبد القاهر أيضاً " هل شيء أبين في الفائدة وأدل على أن ليس سواء دخولها وأن لا تدخل ، أنك ترى الجملة اذا هي دخلت ترتبط بما قبلها وتأتلف معه وتتحد به، حتى كأن الكلامين قد أفرغا إفراغاً واحداً، وكأن أحدهما سبك في الاخر؟ هذه هي الصورة حتى إذا جئت إلى (إن) فأسقطتها رأيت الثاني منهما قد نبا عن الأول وتجافى معناه عن معناه ورأيته لا يتصل به ولا يكون منه بسبيل" [٤]، ومما زاد من بلاغة صورة الصفات التي وصف بها الشاعر دمعه الجناس البديعي البديع الذي جعله بين (الحَرَّى، أحرى) وهو من الجناس الناقص،

---

(١) ينظر: شرح المفصل لابن يعيش ت: ٦٤٣هـ- تحقيق: تقديم د/إميل يعقوب- الناشر: دار الكتب العلمية- بيروت لبنان – الطبعة: ط: الأولى ١٤٢٢ هـ - ٢٠٠١ م ٦٧/٤ .

(٢) الخصائص، ٢٧١/٣ .

(٣) دلائل الاعجاز :ص ٢٧٣.

(٤) المصدر السابق : ص ٣١٦.

وتكمن بلاغة الجناس في أنه جعل الكلمة الأولى وصفاً للدمع وهي بمعنى شديدة الحرارة ، مما جعل ذهن المتلقي متعلقاً بها ، فلما ذكر الكلمة الثانية أوهم السامع بمعنى الأولى ، ودعاه إلى إمعان النظر في المعنيين فكان له فضل تعلق بالذهن ، كما أن في الجناس "إشارة إلى التجاوب الموسيقي الصادر عن تماثل الكلمات تماثلًا كاملًا أو ناقصًا تطرب له الأذن، وتهتز له أوتار القلوب، فتتجاوب في تعاطف مع أصداء أبنيتها"[١].

(١) علم البديع دراسة تاريخية وفنية للدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود-الناشر: مؤسسة المختار- الطبعة : الثانية: ١٤١٨ه، ١٩٩٨م صـ ٢٩٤.

ثامناً: وصف الدمع بالشفاء من الحزن :-

أَدْمُعُ العينِ وَقَد جَدَّ الأَسى***تَبْعثُ الرْوحَ وتُشْفِى البُرَحـــاءِ[١]

يلجأ الإنسان إلى البكاء فيخرج ما بداخله من نار متأججة عَقِبَ ما حدث له من فراق أو هجر أو توديع لبعض أحبابه إما بالفراق أو الموت ، والشاعر هنا يسلط الضوء على هذا المعنى ، فيجعل الدموع تريح النفس من همومها ، ولكي يصل الشاعر إلى غايته أسند إلى الدموع فعلين من الأفعال هما (تبعث، وتشفي) هذا الإسناد إلى غير ما هو له في الحقيقة والواقع، حيث إن الذى يشفى المرء ويبعث في قلبه الراحة والسكون هو الله –ﷻ– فهذا التصرف في الإسناد من قبيل المجاز العقلي، وعلاقته السببية، فالدموع ما هي إلا سبب من الأسباب التي تساعد على الراحة ، وتملأ القلب بالسكينة والطمأنينة ، وأضفى المجاز العقلي على الصورة بلاغة كبيرة، فجعل فيها حركة تريك الدمع وكأنه يمتلك القدرة على فعل ذلك ، وربما كان حمل الصورة على المجاز العقلي أولى من حمله على الاستعارة المكنية لتعلق هذه الأفعال بالله سبحانه وتعالى دون البشر فتنزيهاً له سبحانه لم أحمله على الصورة الاستعارية.

ومن لمسات الشاعر البلاغية أنه جعل الدموع جمعاً على وزن (أَفْعُل) فقال: (أَدْمُعُ) فزاد منها، ووصفها بالكثرة والغزارة ، وذلك حتى يستطيع وصفها بالفعلين (تبعث، وتشفي) لأنها لو كانت قليلة لم يكن لها وقع على نفسه ، والدمع اسم ثلاثي ليست عينه حرف علة وهو على وزن (فَعْل) فإن جمعه على (أَفْعُل) وهذا الجمع للقلة وكما قيل: "أن بعض الأوزان قد يستغنى ببعض أبنية القلة عن أبنية الكثرة وضعًا أو استعمالاً اتكالاً على القرينة"[٢]، ومنها أدمع فلا يعقل أن

---

(١) الديوان: ١٤٤.

(٢) شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح على أوضح المسالك للشيخ خالد الأزهري تحقيق– محمد باسل عيون السود – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة: الثانية – ١٤٢٧هـ(٢/٥١٦).

نحكم عليها بأنها جمع قلة دون العشرة ، فدلت على الكثرة ، وربما قصدها وأراد القول بأن القليل منها يشفي ويساعد على الراحة وهذا يناسب التعبير بقوله:(وقد جدَّ الأسى) مما يعني بأن الخطب عظيم والمصاب جسيم.

ثم يبين لنا الشاعر الأثر الذي تفعله الدموع بالحزين فقال: (تَبْعثُ الــرْوحَ وتُشْفِي البُرَحــَاء) أي: تملأ النفس والجسد راحة وسكينة، وتُذهب ما به من تعب ومشقه، فبين الكلمتين (الرْوحَ، البُرَحَاء) طباق موجب فــالأولى تعنــي الراحــة، والثانية تعني التعب والمشقة مأخوذة من البَرْحُ : الشر والعذاب الشديد ، وبــرَّحَ به : عذبه ،والتباريح: الشدائد، وقيل: هي كُلَفُ المعيشة في مشقة[١]، وقد كــان للطباق الأثر البالغ في ظهور المعنى ووضوحه ،فلم يأت به الشاعر عرضــا ولا زينة للكلام، بل استطاع من خلاله أن يجمع بين حالتين متناقضتين يكون الإنسان المكلوم في أمس الحاجة إليهما، وهما الراحة وعدم المشقة، فالطباق من الأمور الفطرية المركوزة في الطباع التي لها علاقة وثيقة ببلاغة الكلام،إذ الضد أقــرب حضورا بالبال عند ذكر ضده[٢].

(١) ينظر : لسان العرب مادة (بَرَحَ) .

(٢) الصبغ البديعي في اللغة العربية، د/أحمد إبراهيم موسي- الناشــر: دار الكاتــب العربــي ١٣٨٨ه،١٩٦٩م صــ٤٧١.

تاسعاً: وصف الدمع بالنفاد والانتهاء، يقول الشاعر:-

خَلِيلَي ! قَد أَفنى الأَسى زَفرَاتِى**وأَنفدتُ مِن طُولِ البُكَا عَبَراتِي[١]**

ينادي الشاعر أصحابه نداء المتفجع والمتحسر يقول: (خليليَّ) حاذفاً حرف النداء وهو (يا)، وحرف النداء إذا حذف لا يقدر غيرها التي هي أم الباب[٢] أي يا خليلي ، وآثر التعبير بالخليل دون الصاحب لأن الخليل هو صفوة الأصدقاء من أصفى المودة وأصحها[٣] فهذا يدل على أن الشاعر يشعر بالقرب والمودة ممن يناديه فأراد أن يلفت انتباههم إلى أمره، وهذا الحذف يصف لنا ضيق المقام وعدم قدرة الشاعر على إصال صوته ولو بنداء قصير ، فجاء تعبيره على عادة الشعراء القدماء في التعبير بالخليل دون الصاحب والصديق مما يوحي بأنه يحتاج إلى من هو أقرب الناس إليه ليواسيه في مصابه.

ثم يترقى الشاعر إلى وصف حالة أعلى وأعمق من حالة الأسى والحزن ، وهى حالة دموعه والتي عبر عنها بالعبرات يقول: (وأنفدتُ من طولِ البكا عبراتي) ويتعدد مدلول هذه الكلمة ولكن أصل المعنى يرجع إلى "الدَّمْعة"، وقيل في معناها : هو أَن يَنْهَمِل الدمع ولا يسمع البكاء[٤]، وقيل: هي الدمعة قبل أَن تَفيض، وقيل: تَرَدُّدُ البُكاءِ في الصَّدْرِ، أو الحُزْنُ بلا بُكاءٍ[٥] ، وهذا من باب الثراء البلاغي الذي تفيض به هذه الكلمة من تصوير الحالة الداخلية والخارجية للشاعر في وقت واحد، وما يدل عليه التعبير بالفعل(أنفدتُ) من طول عناء الشاعر حتى نفدت دموعه ولم يتبق منها ما يذرفه، ثم إنه أسند الفعل لنفسه وكأنه المتحكم في

---

(١) الديوان: ١٣٩

(٢) ينظر: الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء – للشيخ محمد محمد أبو موسى – الناشر: مكتبة وهبة – الطبعة : الأولى ٢٠٠٨ م ص:٢٥٦.

(٣) ينظر : القاموس المحيط ٤١٩/٣ .

(٤) ينظر : لسان العرب مادة (عبر) .

(٥) ينظر : القاموس المحيط مادة (عبر) .

ذلك، ونجد أن البيت يشتمل على جملتين الأولى(قد أفنى الأسى زفراتي) والجملة الثانية قوله: (وأنفدتُ من طولِ البكا عبراتي) فقد اتفقت الجملتان في الخبرية لفظاً ومعني، كما أن المناسبة بين الجملتين قائمة وجلية ، فالقصد منهما هو التعبير عن حالة الحزن التي يعيشها ، والأسى الذي حلَّ به، يقول الإمام عبد القاهر عن وجوب المناسبة بين الجملتين "أنّكَ إنْ جئتَ فعطفتَ على الأَوّل شيئاً ليس منه بسببٍ، ولا هُوَ مما يُذْكَرُ بذكرِه ويتّصِلُ حديثُه بحديثه، لم يستقِمْ"[1] ، ويقول أيضاً : "وأعلمْ أنه كما يجبُ أن يكونَ المحدّثُ عنه في إحدى الجملتين بسببٍ من المحدّثِ عنه في الأخرى، كذلكَ ينبغي أنْ يكونَ الخبرُ عن الثاني مما يَجْرِي مَجْرى الشبيهِ والنظيرِ أو النّقيضِ للخبر عن الأولِ. فلو قلتَ: "زيدٌ طويلُ القامة وعمرو شاعرٌ"، كان خُلْقاً، لأنه لا مُشاكلَةَ ولا تعلُّق بينَ طولِ القامةِ وبين الشعرِ، وإنما الواجب أن يقال: "زيد كاتب وعمرو شاعر"، وزيد طويل القامة وعمرو قصيرٌ"، وجملةُ الأمرِ أنها لا تجيءُ حتى يكونَ المَعْنى في هذِهِ الجملة لَفْقاً للمعنى في الأخرى ومُضَامّاً له"[2]، فلم يمنع مانع من عطف إحداهما على الأخرى، ولذا وصل بينهما بالواو، و(الواو) هي الأداة التي تخفى الحاجة اليها، ويحتاج العطف بها إلى لُطف في الفهم، ودِقة في إدراك المعنى ، فهي تفيد الربط، وتَشريكَ ما بعدها لما قبلها في الحكم فقط والغرض البلاغي للوصل هو التوسط بين الكمالين.

(١) دلائل الإعجاز صـ٢٢٤ ، ٢٢٥ .

(٢) المصدر السابق صـ ٢٢٤ ، ٢٢٥.

عاشراً : وصف الدمع بالسجوم، يقول الشاعر:-

ضَحِكَاتُ الثغُورِ أَصدقُ مِنْهَا***عَبَراتٌ ملءَ العيونِ سَوَاجِمُ [١]

يصف الشاعر في البيت السابق صفة من أهم الصفات التي يجب على كل إنسان أن يتصف بها، ألا وهى صفة الصدق في المعاملة ، فمن وجهة نظره أن الذي يبكى بعيونٍ ملؤها الدمع أصدق وأوفى من الثغور الضاحكة.

فيقارن الشاعر في هذا البيت بين حالتين يتعرض لهما المرء كثيراً ، وهما حال الضحك وحال البكاء، وأيهما أصدق من الأخرى وينتهي به الأمر إلى أن العبرات أصدق من الضحكات التي قد تبدو مزيفة في كثير من الأحيان ، وموطن الشاهد هنا هو وصف الدموع بقوله: (عبراتٌ ملءَ العيونِ سواجمُ) فالوصف الرئيس الذي وصف به الشاعر الدموع هو قوله :(سواجم) وقد مهد لهذا الوصف بقوله: (ملءَ العيونِ) أي أن دموعه كَثُرت وفاضت حتى بلغت أنها غطت جميع العيون، ثم بالغ في وصفه بأن جعل كل ما يخص البكاء جمعاً مثل: (عبراتٌ ،العيونِ ، سواجمُ) هذا الجمع يؤكد معنى غزارة والكثرة ، ومادة (سواجم) تدل على معنيين رئيسيين هما سيلان الدموع ، والمعنى الآخر هو الديمومة والاستمرار في السيلان تقول :"سَجَمَتِ الْعَيْنُ الدَّمْعَ وَالسَّحَابَةُ الْمَاءَ تَسْجِمُهُ وَتَسْجُمُهُ سَجْمًا وَسُجُومًا وَسَجَمَانًا : وَهُوَ قَطَرَانُ الدَّمْعِ وَسَيَلَانُهُ ، قَلِيلًا كَانَ أَوْ كَثِيرًا وَأَسْجَمَتِ السَّحَابَةُ : دَامَ مَطَرُهَا[٢]، ومن هنا نستطيع القول بأن وصف الشاعر للدموع بهذا الوصف يناسب المقام الذي ورد فيه ،

ومن الأساليب البلاغية العالية التي كان لها عظيم الأثر على صورة الدمع، هو أسلوب الطباق الذي وقع بين (ضحكات، عبراتٌ) وهو من طباق الإيجاب الخفي ؛ وذلك لأن العبرات لا تقابل الضحكات صراحة وإنما الذي يقابلها هو

(١) الديوان: ١٧٦.

(٢) ينظر : لسان العرب مادة (سجم).

البكاء قال تَعَالَ : ﴿وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَى﴾[1] فالعبرات مسببة عن البكاء ، فالطباق بهذه الصورة أدى إلى توكيد المعنى وتقريره ، وزاد على هذا أن التعبير بالعبرات دلت على أن البكاء المصاحب للعبرات والدموع هو الذي تنطبق عليه صفة الصدق ، وأنه أصدق من الضحك الذي لا نستطيع أن نميز فيه الصدق من الكذب، فبلاغة الطباق متوغلة في الصورة وليست عرضية مصطنعة.

(١) سورة النجم : آية ٤٣.

حادي عشر: وصف الدمع بالصدق وعدم البخل بها :- يقول الشاعر :

وأَذَاعُوا: أَنِّي بَخِـــلتُ بِدَمْعِي****وَقَرِيضِي عَلى أَبَرِّ الصِّحَابِ

وعزائي: عِلمـــــي بِأَنَّك تَدْرِي****مَا أُعَانِي من حُرقة وَاكتِأَبِ

رُبَّ باكٍ يذري دموعَ التماسيحِ****من الموجعاتِ خالي الوطاب[١]

يقول الشاعر في تقدمة لهذه القصيدة أن صاحبه الشاعر محمد الراوي بعث له برسالة حتى يزوره في مقر عمله؛ ليحادثه في بعض الأمور الأدبية وكان ذلك قبل وفاته بشهر، فلم يستطع الذهاب، فوافته المنية فلامه بعض أصحابه علـــى التقصير ، وخاصة أنه لم يستطع رثائه في وقت وفاته ، وبعد عام فـــي ذكـــرى وفاته ، رثاه بهذه القصيدة [٢]، يرد فيها على الذين أذاعوا عنه بأنه بَخِلَ بدموعه ورثائه على صديقه ، ولكن نسوا أن المحبة والمودة التي كانت بينه وبين الشاعر محمد الهراوي أكبر من هذه الإشاعة، فقد كان يعلم حاله وما يمر به من حـــزن واكتأب ، فليس كل من يسح الدموع يكون صادقاً.

وقد ورد ذكر الدمع في البيت الأول واصفاً إياه بصفة البخل ، وكـــان هـــذا الوصف على لسان الواشين ، ومن دقة الشاعر أنه وصف الدمع بالبخـــل ،ولـــم يصف عينه أو دمعه بالجمود مع أن الجمود يكون كناية عن بخل العين بالدمع في حالة الحزن، فهي عَيْنٌ جَمُودٌ : لَا دَمْعَ لَهَا[٣]،ثم إنه آثر التعبيـــر بالفعـــل(أذاعوا) ؛ليؤكد على عدم صدقهم فيما رموه به من البخل فهذا الفعل يدل على أنهم "أفشوه وأظهروه وتحدثوا به قبل أن يقفوا على حقيقته"[٤] ، فكأن الشاعر ينكر على " من

---

(١) الديوان: ١٦٢.

(٢) ينظر الديوان: ١٦٢.

(٣) ينظر : لسان العرب مادة (جمد).

(٤) الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: لأبي عبد الله محمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي (ت: ٦٧١هـــ) – تحقيق : د/عبدالله بن عبد المحسن التركـــي ، محمـــد رضـــوان عرقسوســـي ، مـــاهر جنـــوش – الناشـــر : الرســـالة – الطبعـــة : الأولى١٤٢٧هـــ- ٢٠٠٦م (٤٧٨/٦) .

يبادر إلى الأمور قبل تحققها ، فيخبر بها ويفشيها وينشرها ، وقد لا يكون لها صحة"[١].

ثم يعمد الشاعر إلى حذف المسند في الشطر الثاني من البيت في قوله : (وقريضي) والأصل (وأذاعوا : أني بخلت بقريضي) ،والغرض العام : للحذف هو الإيجاز الذي يجعل الكلام محكَماً، دقيقاً، خالياً ممّا لا حاجة لذِكْره فيه. فالإيجاز غرض عامّ في كلّ حذف، ويدخل فيه حذف المسنَد ما دام هناك دليل يدلّ على المحذوف، فلا داعي لذِكْره، حتى لا تمتدّ العبارة بكلام يمكن الاستغناء عنه ، فالغرض من الحذف هو أنّ الشاعر هنا ضيّق الصدر، متألّمٌ ألماً نفسياً من موت صاحبه؛ إذاً المقام هنا مقام ضَجر وضِيق وألَم، وهذا يناسب الحذف وعدم إطالة الكلام ويمكن أن يضاف إلى ذلك: أنّ الحذف قد حافظ على وسرّ الحذف هنا: دلالة المذكور عليه ، يقول ابن الأثير: "أما الإيجاز بالحذف فإنه عجيب الأمر شبيه بالسحر، وذاك أنك ترى فيه ترك الذكر أفصح من الذكر، والصمت عن الإفادة أزيد للإفادة، وتجدك أنطق ما تكون إذا لم تنطق، وأتم ما تكون مبينا إذا لم تبيّن" [٢].

وكما هو معلوم أن إبراز المعنى في صورة محسوسة أقوى وأمكن في تعلقها بالذهن ،ولذلك أراد الشاعر أن يثبت صدق قلبه وتكذيب كلام الواشين الذين أذاعوا أنه يبخل بدمعه بصورة حسية ، يقول :

رُبَّ باكٍ يذري دموعَ التماسيحِ***من الموجعاتِ خالي الوطاب

---

(١) تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي البصري ثم الدمشقي ت: ٧٧٤هـ – تحقيق: سامي بن محمد سلامة – الناشر: دار طيبة للنشر – الطبعة: الثانية ١٤٢٠ه – ١٩٩٩م(٢/٣٦٥).

(٢) المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لنصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب ت: ٦٣٧هـ– تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد– الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت ص:١٩٨.

فهذا تمثيل من الشاعر، شبه فيه حالة الذين ينافقون في البكاء، ويذرفون الدموع رياء وسمعة، ولكنه خالي الوطاب، بحالة التماسيح التي تخرج من المياه ووجوها تمتلئ بالمياه فيظنها من نظر إليها أنها دموعاً، ويغتر بها، ثم حذف صورة المشبه واستعار له صورة المشبه به على سبيل الاستعارة التصريحية، والجامع بين الطرفين هو التظاهر بشيء وإظهار خلافه، وهذا تمثيل من الشاعر وإسقاط على الذين أذاعوا أنه يبخل بدمعه ، فالمهم ليس البكاء وإنما المهم هو صدق المشاعر والأحاسيس لإنسان غير صادق في مشاعره، أو الذى يصطنع البكاء في المواقف التي تحتاج البكاء والتحزُّن الذى يعقبه عذر وإفك، تماماً كالتماسيح التي ينزل الدمع بغزارة من عينيها مع أن المعروف عنها عدم البكاء، وهؤلاء لا يخلو منهم زمان ولا مكان ، يدل على ذلك تعبير الشاعر بحرف الجر(رُبَّ باكٍ) والتي تفيد معنى التقليل ، يؤكده تنكير كلمة (باكٍ) ثم وصف هذه النكرة بالجملة الفعلية (يذري دموعَ التماسيحِ) التي تفيد التجدد والاستمرار في حدوث الفعل ،وقد ذهب كثير من العلماء إلى أن وصف النكرة أبلغ في الدلالة على معنى التقليل، يقول الإمام المرادي: "لأن المراد التقليل، وكون النكرة موصوفة أبلغ في التقليل"[١]، ثم بالغ الشاعر في بناء هذه الجملة بأن جعلها على صيغة الجمع (دموعَ التماسيحِ) فجعل عدد المنافقين في الحزن والبكاء قليلاً ودموعهم كثيرة .

(١) الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي – تحقيق : د/فخر الدين قباوة ، محمد نديم فاضل– الناشر : دار الكتب ، العلمية ، بيروت – الطبعة :الأولى ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م ص:٤٥٠.

الخاتـمة

الحمد لله حمداً يوافى نعمه، ويكافئ فضله ، والصلاة والسلام على أشـرف الخلق قاطبة – صلى الله عليه وسلم – وعلى آله وصحبه ومن أهتدى بهديه إلى يوم الدين . **وبعد**

فبعد هذه الدراسة والتحليل لصورة الدمع في قصائد دموع الوفـاء لعلـى الجندي في ديوانه ألحان الأصيل أذكر النتائج المهمة التي توصلت إليها في البحث وتتلخص فيما يآتي

أولاً: من خلال قراءة ديوان ألحان الأصيل قراءة متأنية اتضح أن صـورة الدمع وردت في قصائد كثيرة للرثاء، مما يدل على أن الشاعر لم يقع في دائـرة التقليد مثل الشعراء القدماء من البكاء على الأطلال، وفراق الحبيب، ممـا يؤكـد صدق دموعه ووفائه لأصدقائه وأحبابه وأقاربه الذين ماتوا وتركوه، كما اتضـح من القراءة كثرة الصور التي صور بها الشاعر الدموع ، فقد بلغت إحدى عشـرة صورة في عشرين بيتاً ،هي : وصف القلب دما يجري مع الدمع ، ووصف الـدمع بديلا للجواب على سؤال. في ثلاثة شواهد لكل صورة منهمـا، وصـف الـدمع بالحمرة، وبالغمام والمطر، وبإنبات العشب، وبالعقيان ، وبالحرارة، وكان ذلك في عشرة شواهد ، لكل صورة شاهدان، وشاهد واحد لكل صورة من الصور الباقيـة هي: وصف الدمع بالشفاء من الحزن، وبالنفاد والانتهاء، وبالسجوم، وبالصـدق وعدم البخل بها.

ثانياً : اتصفت وصف الدمع بصفة الكثرة والغزارة في الهطول والسـيلان من العين، يتضح ذلك من خلال بنية الكلمة التي وردت ثلاث عشرة مـرة جمعـاً تتراوح بين هذه الجموع (المدامعِ ، الدموعَ ، أدمعي، عبرات) وعنـدما جـاءت مفردة صحبها ما يدل على هذه الكثرة وكان هذا مناسباً للمقام الذي وردت فيـه من الحزن والبكاء على أحبابه، وهذا يدل على فقه الشاعر ووعيه بنظم الصورة التي يريد أن يرسمها لنا.

ثالثاً: تآزرت الصور البلاغية في التعبير عن دلالة الدمع لتوضيح غـرض الشاعر وأحاسيسه الداخلية ، ومن أكثر الصور حضـوراً التشـبيه والاسـتعارة وأسلوب القصر لما تشتمل عليه هذه الأساليب من تصوير يستطيع الشاعر مـن خلاله إبراز ما بداخله من حزن وما يخرج منه من دموع ، كذلك من الأسـاليب البلاغية التي استعان بها الشاعر على رسم صور الدمع عنده الأساليب الإنشائية الطلبية والتي تصدرت ثمانية شواهد من شواهد البحث بين نداء واستفهام وأمـر ونـهي ،لما تشتمل عليه هذه الأساليب من لتفت للانتباه، وإيقاظ لذهن المخاطـب والمتلقي ، فيعايشه الحالة النفسية والحزن الى يشعر به، ولم يرد التمني بيـنهم لعدم ملائمته لسياق البكاء، وتناسقه مع انهمار الدموع.

رابعاً: تتسم ألفاظ الشاعر وتراكيبه بالقوة والجزالـة ، وغرابـة المعـاني قليلاً، مما يجعلها تحتاج إلى البحث والتنقيب في معاجم اللغة العربية ، ومع ذلـك فقد جاءت ألفاظه متناغمة مع معانيه تدل دلالة قوية وصريحة على المقام الـذي وردت فيه ، وهو مقام الحزن والبكاء، هذا المقام الذي يستوجب صدق العاطفـة، وهذا يؤكد أن الشاعر عاش تجربة شعرية صادقة ،استطاع بمهارتـه الشـعرية وبأساليبه البلاغية المتعددة أن يعبر عنها خير تعبير، ويتخير لها من الكلمات ما يعينه على إخراج دموعه بصورة ملائمة للسياق والمقام .

فهرس المصادر والمراجع

القرآن الكريم

[١] الأعلام لخير الدين الزركلي الناشر: دار العلم للملاين بيروت ط: الخامسة عشر ٢٠٠٢م.

[٢] ديوان أغاريد السحر للدكتور علي الجندي – الناشر دار الفكر العربي بيروت لبنان الطبعة: الأولى.

[٣] بلبل الغرام الكاشف عن لثام الانسجام، للحاجري ، حسام الذين عيسى بن سنجر ت: ٦٣٢هـ – تحقيق : د. خالد جبر ، د.عاطف كنعان– الناشر: كلية الآداب – جامعة البترا الخاصة – شركة المدينة لأعمال المطابع، بدون.

[٤] تاج العروس من جواهر القاموس للسيد محمد مرتضى الزبيدي– تحقيق: مصطفى حجازي – راجعه: عبد الستار أحمد فرج – مطبعة حكومة الكويت ١٣٩٣ه ، ١٩٧٣م بدون.

[٥] تاريخ آداب العرب لمصطفى صادق بن عبد الرزاق بن سعيد بن أحمد بن عبد القادر الرافعي ت ١٣٥٦هـ–تحقيق: راجعه وضبطه عبدالله المنشاوي ،ومهدي البحقيري –الناشر: مطبعة الإيمان– الطبعة : الأولى.

[٦] تاريخ النقد الأدبي عند العرب للدكتور إحسان عباس ت: ١٤٢٤هـ– الناشر: دار الثقافة بيروت، لبنان – الطبعة: الرابعة، ١٩٨٣م.

[٧] التراكيب اللغوية في العربية دراسة وصفية تطبيقية: د/هادي نهر– الناشر: مطبعة الارشاد – بغداد ١٩٨٧م.

[٨] تفسير القرآن العظيم لأبي الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير ت:٧٧٤هـ– تح: سامي بن محمد سلامة– الناشر: دار طيبة للنشر– الطبعة: الثانية ١٤٢٠ه – ١٩٩٩م.

[٩] الجامع لأحكام القرآن والمبين لما تضمنه من السنة وآي الفرقان: لمحمد بن أحمد بن أبي بكر القرطبي ت: ٦٧١ه– تحقيق : د/عبدالله بن عبد المحسن التركي، محمد رضوان عرقسوسي، ماهر جنوش– الناشر:الرسالة– الطبعة: الأولى١٤٢٧هـ– ٢٠٠٦م.

[١٠]الجنى الداني في حروف المعاني للمرادي – تحقيق : د/فخر الدين قباوة، محمد نديم فاضل– الناشر :دار الكتب ، العلمية ، بيروت – الطبعة :الأولى ، ١٤١٣هـ ـ ١٩٩٢م.

[١١]حاشية الدسوقي على شرح السعد– شروح التلخيص– الناشر: دار الكتب العلمية بيروت.

[١٢]خصائص التراكيب دارسة تحليلية لمسائل علم المعاني: الأستاذ الدكتور محمد أبو موسى – الناشر: مكتبة وهبة – الطبعة: السابعة.

[١٣]الخصائص صنعة أبي الفتح عثمان ابن جني تحقيق: محمد علي النجار– الناشر: المكتبة العلمية، بدون.

[١٤]دلالات التراكيب دراسة بلاغية للشيخ محمد محمد أبو موسى– الناشر: مكتبة وهبة – الطبعة: الرابعة ،١٤٢٩ه ٢٠٠٨م.

[١٥]دلائل الإعجاز للشيخ عبد القاهر بن عبد الرحمن بن محمد ت ٤٧١ هـ – تحقيق: محمود محمد شاكر– الناشر: مطبعة الخانجي بالقاهرة – الطبعة: الثالثة ١٤١٣ هـ – ١٩٩٢م.

[١٦]ديوان ألحان الأصيل لعلي الجندي الأستاذ المساعد بكلة دار العلوم جامعة فؤاد الأول – الناشر: دار الفكر العربي.

[١٧]روح المعاني ف تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني لشهاب الدين محمود بن عبد الله الآلوسي البغداردي، حقق هذا الجزء : ماهر جيوش – الناشر : مؤسسة الرسالة ، ط الأولى ١٤٣١هـ ،٢٠١٠م.

[١٨]الروضة الندية شرح متن الجزرية للعلامة ابن الجزري– شرح: محمود محمد عبد المنعم العبد– صححه: السادات السيد منصور– الناشر: المكتبة الأزهرية للتراث– الطبعة: الأولى ١٤٢٢ه ٢٠٠١م .

[١٩]شرح التصريح على التوضيح أو التصريح بمضمون التوضيح على أوضح المسالك للشيخ خالد الأزهري تحقيق: محمد باسل عيون السود– الناشر: دار الكتب العلمية بيروت – الطبعة: الثانية – ١٤٢٧ه.

[٢٠]شرح المفصل لابن يعيش ت: ٦٤٣هـ– تحقيق: تقديم د/إميل يعقوب– الناشر: دار الكتب العلمية– بيروت لبنان – الطبعة: ط: الأولى ١٤٢٢ هـ – ٢٠٠١ م.

[٢١]الشعر الجاهلي دراسة في منازع الشعراء – للشيخ محمد محمد أبو موسى – الناشر : مكتبة وهبة – الطبعة : الأولى ٢٠٠٨ م.

[٢٢]الصبغ البديعي في اللغة العربية، د/أحمد إبراهيم موسي– الناشر: دار الكاتب العربي ١٣٨٨ه،١٩٦٩م.

[٢٣]صورة الأمر والنهي في الذكر الحكيم ، للأستاذ الدكتور /محمود توفيق سعد – الناشر: مكتبة الأمانة – الطبعة : الأولى ١٩٩٣م.

[٢٤]الطراز لأسرار البلاغة وعلوم حقائق الإعجاز يحيى بن حمزة بن علي بن إبراهيم الحسيني العلويّ الطالبي الملقب بالمؤيد باللّه ت: ٧٤٥هـ – الناشر: المكتبة العنصرية – بيروت – الطبعة: الأولى، ١٤٢٣ ه.ـ

[٢٥]علم البديع دراسة تاريخية وفنيه للدكتور بسيوني عبد الفتاح فيود–الناشر: مؤسسة المختار– الطبعة : الثانية: ١٤١٨ه، ١٩٩٨م.

[٢٦]علم المعاني دراسة بلاغية ونقدية لمسائل المعاني الأستاذ الدكتور/ بسيونى عبد الفتاح فيود– الناشر: مؤسسة المختار القاهرة ، دار المعالم الثقافية الأحساء.

[٢٧]الفروق اللغوية ، للأمام أبي هلال العسكري تحقيق: د/ محمد إبراهيم سليم– الناشر: دار العلوم والثقافة القاهرة،١٤١٨هـ ١٩٩٧م بدون.

[٢٨]القاموس المحيط :لمجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروز آبادى ت: ٨١٧هـ– تحقيق: مجدي فتحي السيد– الناشر: التوفيقية _القاهرة _ مصر بدون.

[٢٩]الكتاب :لعمرو بن عثمان بن قنبر الحارثي بالولاء، أبو بشر الملقب سيبويه ت:١٨٠هـ– تحقيق: عبد السلام محمد هارون– الناشر: الخانجي القاهرة – الطبعة: الثالثة ١٤٠٨ه.

[٣٠]كتاب الألفاظ (أقدم معجم في المعاني) لابن السكيت، أبو يوسف يعقوب بن إسحاق ت: ٢٤٤هـ–تحقيق: د.فخرالدين قباوة –الناشر:مكتبة لبنان ناشرون–الطبعة: الأولى١٩٩٨م.

[٣١]كتاب الكليات معجم في المصطلحات والفروق اللغوية لأبى البقاء الكفوى– تحقيق: عدنان درويش–محمد المصري،عدنان درويش،محمد المصري–م:مكتبة الرسالة–الطبعة: الثانية– بيروت،١٤١٩هـ، ١٩٩٨م.

[٣٢]كتاب عروس الأفراح في شرح تلخيص المفتاح بهاء الدين السبكي تحقيق: د/عبدالحميد هنداوي- الناشر: المكتبة العصرية صيدا بيروت - الطبعة: الأولى ١٤٢٣ه، ٢٠٠٣م.

[٣٣]لسان العرب لمحمد بن مكرم بن على، أبو الفضل، جمال الدين ابن منظور الأنصاري الرويفعى الإفريقى ت: ٧١١هـ - الناشر: دار صادر- بيروت- الطبعة: الثالثة١٤١٤هـ.

[٣٤]المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر لنصر الله بن محمد بن محمد بن عبد الكريم الشيباني، الجزري، أبو الفتح، ضياء الدين، المعروف بابن الأثير الكاتب ت: ٦٣٧هـ- تحقيق: محمد محي الدين عبد الحميد- الناشر: المكتبة العصرية للطباعة والنشر بيروت.

[٣٥]مجلة مجمع اللغة العربية بالقاهرة - المشرف على المجلة :د/ إبراهيم أنيس - أمين التحرير:د/ إبراهيم الترزي- العدد الخامس والعشرون رمضان ١٣٨٩هـ نوفمبر ١٩٦٩م.

[٣٦]مختصر العلامة سعد الدين التفتازاني على تلخيص المفتاح للخطيب القزويني - شروح التلخيص - الناشر : دار الكتب العلمية بيروت.

[٣٧]معجم مقاييس اللغة لأبي الحسن أحمد بن فارس بن زكريا - تحقيق :عبد السلام هارون- الناشر: دار الفكر سنة:١٣٩٩ه/ ١٩٧٩م،بدون.

[٣٨]المفصل في التجويد مزود بالصور التوضيحية لعزة عبد الرحيم محمد سليمان- م: مفكرون للنشر والتوزيع - ط:الثانية ١٤٤٢ه ٢٠٢١م.

[٣٩]نظم الدرر في تناسب الآيات والسور المؤلف: برهان الدين أبي الحسن إبراهيم بن عمر البقاعي- تحقيق : عبد الرزاق غالب المهدي - الناشر : دار الكتب العلمية - بيروت - ١٤١٥هـ - ١٩٩٥ م.

[٤٠]نهاية الايجاز في دراية الإعجاز للإمام فخر الدين بن عمر بن الحسين الرازي- تحقيق: د/ نصر الله حاجي مفتي أوغلي- الناشر: دار صادر- بيروت- لبنان ، الطبعة: الأولى ١٤٢٤ه ، ٢٠٠٢م،

فهرس الموضوعات

م	الموضوع	الصفحة
١-	ملخص	٣٠٩
٢-	Abstract	٣١٠
٣-	المقدمة	٣١١
٤-	التمهيد	٣١٤
٥-	أولاً :تصوير القلب دما يجري مع الدمع	٣١٨
٦-	ثانياً: تصوير الدمع بديلا عن الجواب على سؤال	٣٢٥
٧-	ثالثاً :تصوير الدمع بالحمرة	٣٣٠
٨-	رابعاً :تصوير الدمع بالغمام والمطر	٣٣٤
٩-	خامساً :تصوير الدمع بإنبات العشب	٣٣٨
١٠-	سادساً : تصوير الدمع بالذهب	٣٤١
١١-	سابعاً: تصوير الدمع بالحرارة	٣٤٤
١٢-	ثامناً: تصوير الدمع بالشفاء من الحزن	٣٤٩
١٣-	تاسعاً: تصوير الدمع بالنفاد والانتهاء	٣٥١
١٤-	عاشراً : تصوير الدمع بالسجوم	٣٥٣
١٥-	حادي عشر: تصوير الدمع بالصدق وعدم البخل بها:	٣٥٥
١٦-	الخاتمة	٣٥٨
١٧-	فهرس المصادر والمراجع	٣٦٠
١٨-	فهرس الموضوعات	٣٦٤

تم بحمد الله